الفصل الثالث

بناء عقلية الطفل الإسلامية

المبحث الأول : البناء العَقَدي للطفل .

المبحث الثاني : أخبار طفولة الرسول ﷺ .

المبحث الثالث : البناء العلمى والفكري للطفل .

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

البناء العَقَدي للطفل

obeikandl.com

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [الأعراف].

أخرج البخارى عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجسانه، كما تُنتج البهيمةُ بهيمة جمعاء، هل تُحسون فيها من جدعاء؟».

ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا قول الله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم].

البناء العَقَدى للطفل

تمهيـــد :

تتميز العقيدة الإسلامية ـ الإيـمان بـالله؛ وملائكتـه، وكتبـه، ورسـله، واليـوم الآخر، وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى ـ بأنها كلها غيب، يحار المرء كيف يقدمها للطفل، وكيف سيتعامل معها ذلك الطفل؟ وكيف يمكن تبسيطها؟ وكيف يعرضها؟ أمام كل هذه الأسئلة وغيرها، تأخـذ الوالـدين الحيرة والاستفـسار عـن هذه الكيفيات، ولكن من خلال تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال، نجد خمسة أركـان أساسية فى تثبيت هذه العقيدة .

الأساس الأول : تلقين الطفل كلمة التوحيد .

الأساس الثانى : ترسيخ حب الله تعالى .

الأساس الثالث : ترسيخ حب النبى ﷺ وآل بيته الأطهار ، وصحابته الكرام .

الأساس الرابع : تعليم الطفل القرآن الكريم .

الأساس الخامس : ثبات الطفل على العقيدة والتضحية لها .

وقد حث الإمام الغزالى على اهتمام بعقيدة الطفل وتلقينهـا منـذ صـغره لينـشأ عليها، فيقول :

«اعلم أن ما ذكرناه فى ترجمة العقيدة؛ ينبغـى أن يقـدم للـصبى فى أول نـشوئه، ليحفظه حفظاً؛ ثم لا يزال ينكشف له معناه فى كبره شيئاً فشيئاً، فابتداؤه الحفظ، ثم الفهم، ثم الاعتقاد والإيمان والتصديق به، وذلك مما يحصل فى الصبى بغير برهـان،

فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه فى أول نشوئه للإيمان، من غير حاجة إلى حجة أو برهان»[1] . ثم يدلنا على الطريقة فى ترسيخ العقيدة، فيقول : «وليس الطريق فى تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره، وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يرِدُ عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يستطع عليه من أنوار العبادات، ووظائفها» .

وذلك لأن كل مولود يولد على الفطرة الإيمانية، كيف لا ؟ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف] .

والحديث القدسى يشرح هذا، ويبينه أحسن بيان ـ فيما رواه مسلم ـ يقول الله تعالى : «إنى خلقت عبادى حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم» .

قال الشيخ الملا على القارى فى شرحه على مسند أبى حنيفة، عندما ساق حديث: «كل مولود يولد على الفطرة» قال ـ رحمه الله [2] :

«أى فطرة الإسلام من التوحيد والعرفان، والمعنى : أنه لو خُلِّى وطبعه، لما اختار إلا طريق الإيمان، على وجه الإحسان؛ لما جُبِل عليه من الطبع المتهيئ لقبول الشرع، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، ولم يفارقها مائلاً إلى غيرها .

وقيل : معناه : كل مولود يولد على معرفة الله تعالى، والإقرار به، فلا تجد أحداً إلا وهو يقرُّ بأن الله صانع، وهذا يوافق قول أبى حنيفة : من أنه يجب على كل مكلف أن يعرف الله بمجرد عقله، مع عدم علمه ببعثة الرسل » .

---

(١) الإحياء(١/ ٩٤) .

(٢) شرح مسند أبى حنيفة (ص ٢٢٥) .

وتبلغ رحمة الرسول ﷺ بإيمان الأطفال؛ أن يتطلع إلى إيمانهم وهم فى أصلاب آبائهم الكفار، وأن يكون أمله فى انتصار الإسلام على يد أطفال المستقبل، ويأمل ﷺ ذلك، وهو مضطهد من قبل قومه، فلا يجد أرضاً يهاجر إليها، ولا يحصل على تأشيرة الدخول إلى وطنه إلا بشق الأنفس، وتحت كفالة مطعم بن عدى الذى مات كافراً :

فعندما عاد من الطائف فى رحلته الدعوية، باحثاً عن أرض جديدة للدعوى فلم يفلح، ولاقى من أهل الطائف العَنَت، والاستكبار، والأذى، وسال دمه الشريف من أثر رمى صبيان الطائف له بالحجارة .

وهكذا ارتوت تربة الطائف بدمه الشريف، وهذا أول ما سال منه ﷺ من الدم، وكان ثانيها فى أحد، ولم يحصل من جراء هجرته إلى الطائف ماشياً على قدميه مسافة تقدر بتسعين كيلو متراً إلا إيمان رجلين : ابن مسعود، وعداس، وفى أثناء عودته ـ كما روى البخارى فى صحيحه ـ ينزل عليه جبريل ومعه مَلَك الجبال، فيقول جبريل للحبيب ﷺ : إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فيقول الحبيب ﷺ : «فنادانى ملك الجبال، فسلم عليه، ثم قال : يا محمد ذلك فيما شئت، إن شئتَ أن أطبق عليهم الأخْشَبَين لفعلت (أى : الجبلين)» فقال الرحمة المهداة، والنعمة المسداة ﷺ : «بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده، لا يشرك به شيئاً» . رواه البخارى ومسلم .

وقد تحقق رجاء رسول الله ﷺ، فيسلم بنو ثقيف، وينبت منهم محمد بن القاسم الثقفى أحد القيادات الإسلامية، التى فتحت شرق آسيا من البلاد الإسلامية.

هكذا كانت القيادة النبوية تنظر إلى البناء الإسلامى المستقبلى فى رحمة، وأناة، وصبر، وحلم، فلا يستغل ﷺ قربه من الله تعالى، واستجابة دعائه، ولا ينتقم لنفسه، وإنما شأنه فى كل ذلك الدعاء، ثم الدعاء، ثم الدعاء للأمة ولأبنائها، ولا يدعو عليهم، فهل نقتدى بصاحب الدعوة ؟! أم ما يزال الحمق يسيطر على البعض

بالدعاء على الناس بدلاً من الدعاء لهم، فيا ليت قومى يعلمون ؟!!.

وإذا تأملنا صفحات القرآن، نجد أن الرسل والأنبياء يعنون عناية كبيرة بسلامة عقيدة أبنائهم، فمن ذلك : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة] .

وهذا لقمان يرعى ابنه فيوصيه : ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان] .

ونلاحظ أن سورة الإخلاص التى تمثل الاعتقاد العقلى، وسورة الكافرون التى تمثل الاعتقاد العملى، هما من قصار السور القرآنية؛ التى تبحث فى ميدان العقيدة، وما ذلك إلا إشارة إلى سهولة حفظهما على الأطفال، الذين يتميز نَفَسهُم بالقِصَر، وذاكرتهم بالنشأة الأولى .

وإن من اهتمام النبى ﷺ بالأطفال أن يدعوهم إلى الإسلام دائماً، حتى شق طريقه فى بناء جيل، ضمّ على بن أبى طالب ﷺ الذى آمن بدعوة النبى ﷺ ولم يتجاوز سن العاشرة، وحتى إنه فى زيارته ﷺ وعيادته للأطفال المرضى، كان يدعوهم إلى الإسلام، وبحضور آبائهم :

روى الإمام عبد الرزاق فى مصنفه (٦/ ٣٤) أن النبى ﷺ كان له جار يهودى لا بأس فى خُلُقه، فمرض، فعاده رسول الله ﷺ بأصحابه فقال : «أتشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟» فنظر إلى أبيه، فسكت أبوه، وسكت الفتى، ثم الثانية، ثم الثالثة، فقال أبوه فى الثالثة : قل ما قال لك، ففعل، فمات، فأرادت اليهود أن تليه، فقال رسول الله ﷺ : «نحن أولى به منكم» فغسله رسول الله ﷺ وكفنَّه،وحنَّطه، وصلى عليه .

وتابع السلف الصالح الاهتمام بدعوة الأطفال إلى الإسلام، فكان عمر بن

الخطاب ﷺ لا يدع يهودياً، ولا نصرانياً ينصِّر ولده، ولا يهوِّده فى مِلْك العرب[1].

وقَدِمَ على عمر ﷺ رجل من تغلب، فقال له عمر : إن كان لكم فى الجاهلية نصيب، فخذوا نصيبكم من الإسلام، فصالحه على أن أضعف عليهم الجزية، ولا ينصروا الأبناء[2].

وقد فعل عمر هذا اقتداء برسول الله ﷺ فعن على بن أبى طالب ﷺ قال : شهدت رسول الله ﷺ حين صالح نصارى بنى تغلب على ألا ينصروا الأبناء، فإن فعلوا فلا عهد لهم، قال على : لو فرغت لقاتلتهم[3].

وهذا مجاهد يقول لغلام له نصرانى : يا جرير، أسلم، ثم قال : هكذا كان يقال لهم[4].

وما هذا الذى تقدم معنا إلا تنبيه للأجيال القادمة؛ وقادتها وعلمائها؛ أن تهتم بالأطفال، ولا يتركونهم هملاً؛ تعصف بهم الرياح، وتحتضنهم رجالات الكفر، ودعاته .

وفى عصرنا الحاضر ابتلى المسلمون بالهجرة إلى بلاد الكفر، فيهاجرون مع أطفالهم، فتأخذ تلك البلاد أطفالهم بالتَّنصير رويداً رويداً[5]، فينحلّون سلوكياً، ثم عَقَدياً، وذلك من أجل الحصول على الجنسية الجديدة!!. ولكن حكم الهجرة ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة : ١٧٣] مع الحرص الشديد على إرجاع الأبناء إلى العيش فى البلاد الإسلامية، وعدم الذوبان فى المجتمعات غير الإسلامية،

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٦/ ٤٨) .

(٢) المصدر السابق (٦/ ٥٠) .

(٣، ٤) المصدر السابق (٦/ ١٢٣) .

(٥) شكا مجموعة من القساوسة فى الغرب إلى البابا فى روما: إننا استطعنا أن نجعل من شباب المسلمين فى الغرب من يشرب الخمر، ويمارس الزنا، إلا أننا لم نستطع أن نجعلهم يأكلون لحم الخنزير، فكان جواب البابا لهم : «أليس أولادهم فى مدارسنا ؟» . فهل نصحو لأبنائنا ؟! اللهم نعم . انظر : مجلة النور الكويتية، عدد سنة ١٩٨٨م .

ومهما يكن من أمر، فإن الهجرة إلى البلاد الكافرة خطيرة جداً، اللهم إنا نعوذ بك من فتنة الدنيا، وعذاب الآخرة .

الأساس العَقَدى الأول : تلقين الطفل كلمة التوحيد :

روى الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : «افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله» . وروى عبد الرزاق «أنه كانوا يستحبون، أول ما يفصح، أن يعلموه لا إله إلا الله سبع مرات، فيكون ذلك، أول ما يتكلم به» .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى أحكام المولود : «فإن كان وقت نطقهم فليلقنوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه، وتوحيده، وأنه سبحانه فوق[1] عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا ، وكان بنو إسرائيل كثيراً ما يسمعون أولادهم ـ عمانويل ـ ومعنى هذه الكلمة: إلهنا معنا، ولهذا كان أحب الأسماء إلى الله : عبد الله، وعبد الرحمن، بحيث إذا وعى الطفل وعقل على أنه : عبد الله، وأن الله سيده ومولاه» .

وروى عبد الرزاق فى مصنفه (٤/ ٣٣٤٩) عن عبد الكريم بن أبى أمية قال : كان رسول الله ﷺ يعلم الغلام من بنى هاشم إذا أفصح سبع مرات : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء] .

ويتابع الأنبياء والرسل توصية أبنائهم مهما ابتعدوا عن الله تعالى، إذ عليهم البلاغ، وعلى الله تعالى الهداية :

---

(١) فوقية لا تشبه فوقية المخلوقات بعضها فوق بعض حساً ومكاناً لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] وقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص].

فعن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال : إن النبى ﷺ قال : «قال نوح لابنه : إنى موصيك بوصية وقاصرها لكى لا تنساها، أوصيك باثنين، وأنهاك عن اثنين، أما اللتان أوصيك بهما، فيستبشر الله بهما وصالح خلقه، وهما يكثران الولوج على الله سبحانه وتعالى :

ـ أوصيك بلا إله إلا الله، فإن السموات والأرض لو كانت حلقةً قَصَمَتْها؛ ولو كانت فى كفةٍ وزنَتْها .

ـ وأوصيك بسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة الخلق، وتسبيح الخلق، وبها يرزق الخلق ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء] ... رواه النسائى، وهذا لفظه، وأخرجه البزار والحاكم، وقال : صحيح الإسناد[1] .

فلا بد من تعويد الطفل على ذكر الله بتوحيده بالشهادتين، وتسبيحه، وتحميده، فإنه يطرد الشيطان، ويساعد الوالدين على سرعة استجابة أبنائهم لهم، ويسهل على الوالدين حل مشكلات أبنائهم النفسية﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد] ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه : ١٢٤] .

ومما رواه ابن ظفر المكى قصة لطيفة فى حكم تكرار الطفل الشهادتين، فقال[2] :

«بلغنى أن أبا سليمان داود بن نصير الطائى ـ رحمه الله ـ لما بلغ من العمر خمس سنوات؛ أسلمه أبوه إلى المؤدِّب، فابتدأ بتلقين القرآن، وكان لَقِناً، فلما تعلم سورة : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾ [الإنسان] وحفظها رأته أمه يوم الجمعة مقبلاً على الحائط، مفكراً يشير بيده، فخافت على عقله، فنادته : قم يا داود ! فالعب مع الصبيان، فلم يجبها، فضمته إليها، ودعت بالويل، فقال :

---

(١) انظر : تحفة الذاكرين للشوكانى (ص٢٣٧) .
(٢) أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر المكى (ص ١٦٠) .

مالَكِ يا أماه، أبكِ بأس ؟ قالت : أين ذهنك ؟ قال : مع عباد الله، قالت : أين هم ؟ قال : فى الجنة، قالت : ما يصنعون ؟ قال : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الإنسان] ثم مر فى السورة وهو شاخص، كأنه يتأمل شيئاً، حتى بلغ قوله : ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان] قال : يا أماه، ما كان سعيهم ؟ فلم تدر ما تجيبه، فقال لها : قومى عنى؛ حتى أتنزه عندهم ساعة، فقامت عنه، فأرسلت إلى أبيه؛ فأعلمته شأن ولده، فقال له أبوه : يا داود، كان سعيهم أن قالوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكان يقولها فى أكثر أوقاته .

ولذلك كانت وصية النبى ﷺ لمعاذ ﷺ فيما رواه أحمد وابن ماجه والبخارى فى الأدب المفرد قوله ﷺ : «وأنفق على عيالك من طَوْلك، ولا ترفع عنهم عصاك أدباً، وأخفهم فى الله»، ولم يلبث رسول الله ﷺ عندما أنزلت عليه الرسالة أن تجاوز الأفق الضيق، فى الدعوات الحزبية، وانطلق إلى على بن أبى طالب[1] ــ وعمره لم يتجاوز العاشرة ـ ودعاه إلى الإيمان، فآمن به، ولازمه فى الخروج إلى الصلاة، مستخفياً فى شعاب مكة، حتى عن أهله وأبيه .

ولقد وجدهما مرة أبوه يصليان، فكلم رسول الله ﷺ : يا بن أخى، ما هذا الدين الذى أراك تدين به ؟ فأجابه : أى عَمْ، هذا دين الله، وملائكته،ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم، بعثنى الله رسولاً إلى العباد، وأنت أحقُّ من بذلت له النصيحة؛ ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابنى إليه، وأعاننى عليه»[2]. أما أول[3] من أسلم من الموالى فهو «زيد بن حارثة»؛ الذى كان قد جاء به ضمن الأسرى من الشام، عمُّ

(١) قال ابن الصلاح فى مقدمته (ص ١٥٠) : «والأورع أن يقال : أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان أو الأحداث على، ومن النساء السيدة خديجة، ومن الموالى زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال» .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سيرة نبى الهدى والرحمة لعبد السلام هاشم حافظ (ص ٨١)، طبع رابطة العام الإسلامى، مكة المكرمة .

السيدة خديجة؛ حكيم بن حزام، فاختارته غلاماً لها، وطلبه رسول الله ﷺ فأعتقه، وتبناه، ورباه بينهم [1].

وهكذا بدأ رسول الله ﷺ دعوته الجديدة فى إقامة المجتمع الإسلامى الجديد، مركزاً اهتمامه على الأطفال، بالرعاية والدعوة والدعاء، حتى نال على ـ كرم الله وجهه ـ شرف الدفاع عن رسول الله ﷺ بنومه فى بيت الرسول ﷺ ليلة الهجرة . إنها تربية النبوة للأطفال الناشئين، ليكونوا قادة المستقبل، ومؤسسى المجتمع الإسلامى الوليد الجديد، فهلا نصحو لنقطة البداية فى الانطلاقة الجديدة فى القرن الخامس عشر الهجرى ؟!! اللهم نعم .

ويحدثنا أحد الغلمان كيف آمن بالرسول ﷺ :

فعن أبى قُرْصافة ﷺ قال : كان بدءُ إسلامى أنى كنت يتيماً بين أمى وخالتى، وكان أكثر ميلى إلى خالتى، وكنتُ أرعى شُوَيهات لى، فكانت خالتى كثيراً ما تقول لى : يا بنى، لا تَمُرَّ إلى هذا الرجل ـ تعنى : النبى ﷺ ـ فيغْويك، ويضلَّكَ، فكنت أخرج حتى آتى المرعى، وأترك شويهاتى، وآتى النبى ﷺ ، فلا أزال أسمع منه، ثم أُروِّح غنمى ضُمْراً يابساتِ الضلوع، وقالت لى خالتى : ما لغنمكَ يابساتِ الضلوع؟ قلت : ما أدرى .

ثم عدت إليه فى اليوم الثانى، ففعل كما فعل فى اليوم الأول، غير أنى سمعته يقول : «يا أيها الناس، هاجروا، وتمسّكوا بالإسلام، فإن الهجرة لا تنقطع ما دام الجهاد» .

ثم إنى رحتُ بالغنم كما رحتُ فى اليوم الأول، ثم عدت إليه فى اليوم الثالث، فلم أزل عنده أسمع منه، حتى أسلمت وبايعتُه، وصافحتُه، وشكوتُ إليه أمر

(١) سيرة نبى الهدى والرحمة لعبد السلام هاشم حافظ (ص ٨١)، طبع رابطة العام الإسلامى، مكة المكرمة .

خالتى، وأمر غنمى، فقال لى رسول الله ﷺ : «جئنى بالشياه» . فجئته بهنَّ، فمسح ظهورهنّ، وضروعهنّ، ودعا فيهن بالبركة، فامتلأنَ شحماً ولبناً .

فلما دخلتُ على خالتى بهنّ ـ أى : بالشياه ـ قالت : يا بنىّ، هكذا فارْعَ ! قلت : يا خالة، ما رعيتُ إلا حيث أرعى كل يوم، ولكن أُخبرُكِ بقصتى، وأخبرتها بالقصة، وإتيانى النبى ﷺ، وأخبرتها بسيرته، وكلامه .

فقالت أمى وخالتى : اذهب بنا إليه، فذهبت أنا وأمى وخالتى، فأسلمن، وبايعن رسول الله ﷺ . قال فى مجمع الزوائد : رواه الطبرانى، ورجاله ثقات . انتهى .

من هذا يتبين اهتمام رسول الله ﷺ بدعوة الكبار والصغار، بل ويهتم بهموم الصغار، ويحلّ لهم مشكلاتهم، ويساعدهم على أمور معاشهم، ويفيض عليهم من بركاته التى من الله عليهم بها .

وهذا غلام آخر يؤمن بالرسول ﷺ لما يراه من معجزاته، ويأخذ عنه سبعين سورة :

روى الإمام أحمد عن ابن مسعود ﷺ قال : كنت أرعى غنماً لعقبة بن أبى مُعيط، فمرّ بى رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال ﷺ : «ياغلام، هل من لبن؟» . قال ابن مسعود : فقلت نعم، ولكنى مؤتمن، قال : «فهل من شاة لم ينْزُ عليها الفحل؟»، فأتيته بشاة، فمسح رسول الله ﷺ ضرعها فنزل لبن، فحلبه فى إناءٍ فشرب، وسقى أبا بكر، وفى رواية : فشرب، وشرب أبا بكر، ثم قال ﷺ للضرع : «اِقْلِصْ» (أى : أمسك) فقلص ... قال ابن مسعود : ثم أتيته بعد هذا، فقلت : يا رسول الله، علمنى من هذا القول، وفى رواية أخرى : علمنى من هذا القرآن، فمسح رأسى وقال :«يرحمك الله، فإنك غُليم مُعلم» قال : فأخذتُ من فيه ﷺ سبعين سورة .

فهل نبدأ بتعليم الأطفال القرآن الكريم، وسيرة الرسول ﷺ ؟! اللهم نعم إن شاء الله تعالى .

الأساس العَقَدى الثانى : غرس حب الله تعالى، والاستعانة به، ومراقبة الله، والإيمان بالقضاء والقدر فى الطفل .

لكل طفل مشكلاته الخاصة به، سواء منها النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والمدرسية، وتختلف هذه المشكلات بين طفل وآخر، فى حدّتها، وشدّتها، وطراوتها.. وقد يعبر الطفل عن مشكلاته بشكل شعورى أو لا شعورى، فبأى وسيلة يمكن معالجته من الداخل ؟ وبأى طريقة يستطيع الطفل؛ أن يخفّف من آلامه ـ إن وجدت ـ ويخلصه من مشكلات إن حصلت ؟

إنها بترسيخ حب الله تعالى؛ والاستعانة به، ومراقبته، وبالإيمان بالقضاء والقدر، وهذا أسلوب رسول الله ﷺ وليس ابتكاراً من أحد غيره .

فبتعميق هذا الحب والاستعانة بالله فى نفسه، وتأصيل هذه المراقبة فى قلبه، وغرس الإيمان بالقضاء والقدر فى لبه وفؤاده، يستطيع الطفل مواجهة حياته الطفلية الآن، ومستقبل رجوليته ـ أو : أموميته ـ فيما بعد :

١ـ ما ورد فى حضّ الأطفال على خوف الله ومراقبته فى نفوسهم :

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «لا ترفع العصا على أهلك، وأخفهم فى الله عز وجل» . رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط، وإسناده جيد، كذا قاله الهيثمى فى المجمع(٨/ ١٠٦) .

وأخرج الترمذى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كنت خلف النبى ﷺ يوماً فقال : «يا غلام، إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تَجِدْه تُجَاهَكَ، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام،

وجفت الصحف» . وفى رواية غير الترمذى زيادة : «احفظ الله تجده أمامك، تَعَرَّفْ إلى الله فى الرخاء، يعرفك فى الشدة، واعلم أن ما أخطأكَ لم يكن ليصيبك، وما أصابَك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»[1] .

فإذا ما حفظ الطفل هذا الحديث، وفهمه جيداً، لم تقف أمامه عثرة، ولم يعقه شىء، فى مسيرة حياته كلها . فأى تربية هذه ـ قديمة وحديثة ـ تستطيع أن تبلغ من نفس الطفل كما بلغها هذا الحديث ؟!

إن لهذا الحديث قوة كبيرة على حلِّ مشاكل الطفل، بفضل تأثيره، وروحانيته، وله القدرة فى دفع الطفل نحو الأمام بفضل استعانته بالله، ومراقبته له، وإيمانه بالقضاء والقدر، وإن أطفال الصحابة تلقوا هذا التوجيه النبوى، فهم يستعينون بالله على ما أصابه من قدره، ويسألون الله عندما تنزل بهم المصائب، ويعتقدون بأن لا حول ولا قوة إلا بالله، ويؤمنون بأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً .

وإليك بيان ذلك عملياً لا بالكلام النظرى :

أورد ابن رجب الحنبلى فى كتابه ـ جامع العلوم والحكم [2] ـ عن آدم بن أبى إياس فى تفسيره عن محمد بن إسحاق[3] قال : جاء مالك الأشجعى إلى النبى ﷺ فقال : أُسِرَ ابْنى عوف، فقال له : «أرسل إليه : أن رسول الله ﷺ يأمرك أن تكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله»، فأتاه الرسول فأخبره، فأكبَّ عوف يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله، وكانوا قد شدوه بالقِدِّ، فسقط القِدّ عنه، فخرج، فإذا هو بناقة لهم، فركبها، فإذا هو بسرح القوم الذين كانوا شدوه، فصاح بها، فأتبع آخرها

(١) صحيح . ورواه أحمد، والحاكم، والطبرانى، وابن السنى، والآجرى، والضياء . انظر : صحيح الجامع رقم (٧٩٥٧) .

(٢) ص (١٨٧) وذكره ابن كثير فى تفسيره وقال : رواه بن أبى حاتم .

(٣) وهو ثقة عند الحنفية، وانظر : دراسة توثيقية فى كتب السيرة لمحمد بن إسحاق، تحقيق : الدكتور محمد حميد الله .

أولها، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادى بالباب، فقال أبوه : عوف ورب الكعبة ! فقالت أمه : وا سَوْأَتاه ! عوف كئيب بألم ما فيه من القد، فاستبق الأب والخادم إليه، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلاً، فقصّ على أبيه أمْره، وأَمْرَ هذه الإبل، فأتى رسول الله فأخبره بأمر عوف وأمر الإبل، فقال رسول الله ﷺ : «اصنع بها ماأحببت، وما كنت صانعاً بإبلك» . ونزل : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق] .

وعن سهل بن سعد : أن فتى من الأنصار دخلته خشية من النار، فكان يبكى عند ذكر النار، حتى حبسه ذلك فى البيت، فذُكر ذلك للنبى ﷺ ، فجاءه فى البيت؛ فلما دخل عليه اعتنقه الفتى، وخَرَّ ميتاً، فقال النبى ﷺ : «جَهِّزوا صاحبكم؛ فإن الفَرَقَ فَلَذَ كبده» . رواه الحاكم فى مستدركه (٢/ ٤٩٤) وقال : صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبى : صحيح . ورواه ابن أبى الدنيا .

وهذا نموذج آخر فى اهتمام السلف الصالح بترسيخ الإيمان وحلاوته، وأن الطريق إلى ذلك الوصول إلى درجة اليقين بالقضاء والقدر، ونلحظ حرص السلف الصالح، وهم فى أحرج الأوقات قبل الموت، على توجيه أولادهم وإرشادهم :

روى الإمام أحمد عن الوليد بن عبادة قال : «دخلت على عبادة وهو مريض، أتخايل فيه الموت، فقلت : يا أبتاه، أوصنى؛ واجْتهد لى، فقال أجلسونى، فلما أجلسوه قال : يا بنى، إنك لم تَطْعم الإيمان، ولم تبلغ حقّ حقيقة العلم بالله، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ؟ قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بنى، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول ما خلق الله القلم، ثم قال له : اكتب، فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» يا بنى، إن متَّ ولستَ على ذلك دخلتَ النار» ورواه أيضاً الترمذى، وقال : حسن صحيح غريب .

نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح :

١ ـ كان عمر بن الخطاب ﷺ يسير فى الطريق، وهو أمير المؤمنين، وكان مجموعة من الأطفال يلعبون فى الطريق، فلما رأوه هربوا منه إلا واحداً ـ هو عبد الله ابن الزبير ـ فتعجب عمر منه، وسأله عن سبب عدم هربه، فأجابه : لم أكن مذنباً فأهرب منك، ولم أكن لأخافك فأوسع لك الطريق[١] .

٢ ـ وكان ابن عمر فى سفر، فرأى غلاماً يرعى غنماً، فقال له : تبيع من هذه الغنم واحدة ؟ فقال : إنها ليست لى، فقال : قل لصاحبها : إن الذئب أخذ منها واحدة؛ فقال العبد : فأين الله !! فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة؛ مقالة ذلك العبد : فأين الله ؟![٢] .

٣ ـ وكان لبعض المشايخ تلامذة، فكان يخص واحداً منهم؛ بإقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره، فقالوا له فى ذلك، فقال : أبين لكم، فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائراً، وقال له: اذبحه بحيث لا يراك أحد، ودفع إلى هذا أيضاً، فمضوا، ورجع كل منهم؛ وقد ذبح طائره، وجاء هذا بالطائر حياً، فقال : هلا ذبحته؟ فقال : أمرتنى أن أذبحه بحيث لا يراه أحد، ولم أجد موضعاً لا يراه فيه أحد، فقال : لهذا أخصه بإقبالى عليه[٣].

٤ـ وأورد الإمام الغزالى فى «إحيائه»[٤] قصة لطيفة فقال : قال سهل بن عبد الله التسترى : كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل، فأنظر إلى صلاة خالى محمد بن سوار، فقال لى يوماً : ألا تذكر الله الذى خلقك، فقلت : كيف أذكره، فقال : قل بقلبك عند تقلبك بثيابك، ثلاث مرات، من غير أن تحرك به لسانك : الله معى، الله

---

(١) تذكرة الآباء وتسلية الأبناء لابن العديم المتوفى سنة (٦٦٠ هـ) (ص ٦١) .
(٢) الرسالة القشيرية (ص١٤٧) .
(٣) السابق ذاته.
(٤) وانظر : أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر المكى (ص ١٤٤) .

ناظرى، الله شاهدى، فقلت ذلك ليالى؛ ثم أعلمته، فقال : قل فى كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال : قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته، فوقع فى قلبى حلاوته، فلما كان بعد سنة، قال لى خالى : احفظ ما علمتك، وَدُمْ عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك فى الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة فى سرى، ثم قال لى خالى يوماً : يا سهل، من كان الله معه، وناظراً إليه، وشاهده، أيعصيه؟ إياك والمعصية، فكنت أخلو بنفسى، فبعثوا بى إلى المكتب، فقلت : إنى لأخشى أن يتفرق على همى، ولكن شارطوا المعلم أن أذهب إليه ساعة، فأتعلم ثم أرجع، فمضيت إلى الكُتَّاب، فتعلمت القرآن، وحفظته [1]، وأنا ابن ست سنين، أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر، وقوتى من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة .

٥ ـ وأورد ابن ظفر المكى فى كتابه «أنباء نجباء الأبناء» (ص ١٤٨) : «إن الحارث المحاسبى ـ وهو صبى ـ مر بصبيان، وهم يلعبون على باب رجل تمّار، فوقف الحارث ينظر إلى لعبهم، وخرج صاحب الدار ومعه تمرات، فقال للحارث : كل هذه التمرات، قال الحارث : ما خبرك فيها؟ قال : إنى بعت الساعة تمراً من رجل، فسقطت من تمره، فقال : أتعرفه ؟ فقال : نعم ، فالتفت الحارث إلى الصبيان يلعبون، وقال : أهذا الشيخ مسلم ؟ قالوا : نعم، فمرّ وتركه، فتبعه التمّار، حتى قبض عليه، وقال له : والله ما تَنْفلت من يدى حتى تقول لى ما فى نفسك منى، فقال: يا شيخ، إن كنت مسلماً، فاطلب صاحب التمرات، حتى تتخلص من تبعته، كما تطلب الماء إذا كنت عطشان شديد العطش، يا شيخ، تُطْعم أولاد المسلمين السحت ـ أى : الحرام ـ وأنت مسلم ؟ فقال الشيخ : والله لا اتّجرت للدنيا أبداً .

٦ ـ ومما أورده كذلك [2] : « بلغنى أن أبا الحسين أحمد بن محمد النورى، لما قرأ

---

(١) وهذا من بركة ذكر الله تعالى، ومراقبته .

(٢) ص (١٥٦) كتاب أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر . وذكرها الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ رحمه الله ـ فى مقدمة كتابه : (رسالة المسترشدين) وعزاها لهذا المصدر ورجعت إليه فوجدتها فيه .

القرآن، ألزمه أن يكون معه فى الدكان، فإذا أصبح أخذ روزمانجاً، ودواة، وذهب يسأل عن علم ما جهل من كتاب الله تعالى، ويكتب ما يقال له، ثم يأتى أباه، فيزجره عن غيابه، ويتهدده، وربما ضربه، وإذا بعث فى حاجة أخذ ألواحه معه، فيسأل من مرَّ به من أهل العلم، وربما ضربه أبوه على ذلك أحياناً، فقال له أبوه يوماً : ليت شعرى، ما تريد بعلمك هذا؟ قال : أريد أن أعرف الله تعالى، وأتعرف إليه، فقال : كيف تعرفه؟ قال : أعرفه بتفهم أمره ونهيه ! قال : وكيف تتعرف إليه؟ قال : أتعرف إليه بالعمل بما علمنى، قال له أبوه : لا أعرض لك فى أمرك ما بقيت .

٧ ـ ونختم هذه النماذج بورع الإمام أحمد بن حنبل فى طفولته :

كان عمه يرسل إلى بعض البلاد بأحوال بغداد، ليعلم بها الخليفة ، وقد أرسلها مرة مع ابن أخيه أحمد بن حنبل، فتورع عن ذلك، ورمى بها الماء؛ تأثماً من الوشاية، والتسبب، لما عسى أن يكون فيه ضرر بالمسلمين، وقد لفتت هذه النجابة كثيراً من أهل العلم والفراسات، حتى قال الهيثم بن حنبل : «إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة على أهل زمانه» (١) .

الأساس العَقَدى الثالث : ترسيخ حب النبى ﷺ وآل بيته الأطهار، وأصحابه الكرام فى الطفل .

وبها يتحقّق الشطر الثانى من الشهادة، شهادة أن لا إله إلا الله؛ وأن محمداً رسول الله . وقد سار السلف الصالح وخلفهم فى تركيزها، وتثبيتها فى نفس الطفل، إذ بها تتحرك مشاعر الطفل وأحاسيسه، وتزيد حرارة الشعور الإسلامى، وتدفع به إلى كل خير، وتحلّ له مشكلاته كلها، وتهوِّن عليه كلَّ مصيبة .

ومن الملاحظ على النفس البشرية عامة، أنها فى مرحلة بنائها تحاول أن تتشبه

(١) عن : رجال الفكر والدعوة لأبى الحسن النووى (ص ١٠٥) . وقد كان كذلك بفضل السلوك العلمى، لا بالكلام والثرثرة . وفقنى الله وإياك إلى العمل الصالح .

بأقوى شخصية حولها، وذلك لتقتدى بها، وتسير على هداها، وتقلدها فى كل حركاتها . والتربية الإسلامية طلبت أن يشد الطفل الصغير والرجل الكبير إلى شخص الرسول ﷺ إذ هو القدوة الثابتة الراسخة، التى لا تتبدل، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وهو أفضل رسل الله أجمعين .

وما العذاب الذى تصاب به النفس البشرية، وما الأمراض النفسية والعصبية المنتشرة هنا وهناك، إلا أثر من آثار البعد عن القدوة الصحيحة، وعدم التشبه برسول الله ﷺ وإنما نلاحظ من الأجيال المنحرفة أنها تعيش فى فراغ فى الشخصية، تلهث وراء الموضات المتغيرة بين فصل وآخر من فصول السنة، وتركض وراء الممثلين المائعين المنحرفين البعيدين كل البعد عن المنهج الربانى، وتهرول خلف بعض من يسَمّون أنفسهم مفكرى العصر، ورواده المثقفين الذين ينفخ الشيطان فى رؤوسهم، فيحسبونه فكراً نيراً، وهكذا نجد أهمية شخصية حية يقتدى بها الطفل الناشئ، وهل هناك أفضل من الاقتداء برسول الله ﷺ ؟ !

أولاً : ما ورد فى ترسيخ محبة الرسول ﷺ وآله الأطهار :

أخرج الطبرانى وابن النجار والديلمى عن على ﷺ ، أن النبى ﷺ قال : «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن» . وقال المناوى عن سنده : ضعيف .

وروى الإمام أحمد والشيخان عن أنس ﷺ ، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ : «وما أعددت لها؟» فقال : لا شىء، إلا أنى أحب الله ورسوله، فقال ﷺ «أنت مع من أحببت» . قال أنس : «فأنا أحب النبى ﷺ وأبا بكر؛ وعمر، فأرجو أن أكون معهم، بحبى إياهم» ومعلوم أن أنساً خدم النبى ﷺ وهو طفل صغير عمره عشر سنين ولمدة عشر سنين .

وعن أبى هريرة ﷺ قال : خرج النبى ﷺ فى طائفة النهار لا يكلمنى، ولا

أُكلِّمه؛ حتى أتى سوق بنى قينقاع، فجلس بفناء بيت فاطمة ـ رضى الله عنها ـ فقال: «أَثُمَّ لُكَع؟ (أى : هنا الصغير)»، فَحَبَسَتْهُ شيئاً، فظننتُ أنها تُلبسه سِخاباً ؟ أو تُغسِّلُه، فجاء يشْتَدُّ، حتى عانقه؛ وقَبَّله، وقال : «اللهم أحْبِبْهُ، وأَحِبَّ منْ يحبُّهُ» متفق عليه .

وعن البراء ﷺ قال : رأيت النبى ﷺ والحسن على عاتقه يقول : «اللهم إنى أحبه فأحبه» متفق عليه .

وهذا الطفل أبو سعيد الخدرى ـ من صغار الصحابة ـ يعرفنا حضوره لمجلس رسول الله ﷺ وهو يعلم الكبار والصغار صيغة الصلاة على النبى ﷺ وعلى آل بيته الكرام، يكرِّر ذلك كل مصلٍّ فى صلاته :

روى البخارى فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : قلنا يا رسول الله، هذا التسليم، فكيف نُصلى عليك؟ قال :«قولوا : اللهم صل على محمدٍ عبدِكَ ورسولِكَ، كما صليتَ على إبراهيم، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم» .

وهكذا ينشأ الطفل محباً لرسول الله ﷺ وآل بيته الأطهار الطيبين .

ويخبرنا طفل من أطفال الصحابة عن سماعه من فم رسول الله ﷺ وهو يحض على حب آل بيته الأطهار : فعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ياأيها الناس، إنى تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلُّوا بعدى، أحدُهما أكبرُ من الآخر :

ـ كتابُ الله ممدودٌ بين السماء والأرض .

ـ وعِترتى أهلُ بيتى .

ألا إنهما لَن يفْتَرقَا حتى يرِدَا على الحَوْضَ» .

قال البغوى فى شرح السنة (٧/ ٢٠٦) : حسن غريب، وقال محققه : أخرجه الترمذى، وأحمد (٣/ ١٤ ـ ١٧) .

وهذا طفل ثانٍ من أطفال الصحابة الذين تَرَبَّوْا على يد رسول الله ﷺ، وهو زيد ابن الأرقم [١] يحدثنا عن سماعه لخطبة الرسول ﷺ، وهو يحثّهم على التمسك بكتاب الله، وبأهل بيته الطيبين الأطهار .

أسند البغوى فى «شرح السنة» عن زيد بن أرقم يقول : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيباً [٢] ، فحمد اللهَ، وأثنى عليه، ثم قال : «أما بعدُ : أيها الناس، أنا بَشَرٌ يوشِكُ أن يأتينى رسولُ ربى فأُجيبه، وإنى تارك فيكم الثقلين :

ـ أولهُما : كتاب الله، فيه الهُدى والنورُ، فتمسكوا بكتاب الله، وخُذوا به» فحثَّ عليه، ورغَّبَ فيه، ثم قال :

ـ وأهلُ بيتى أُذكِّرُكُم اللهَ فى أهلِ بيتى» [٣] .

قال البغوى : هذا حديث صحيح أخرجه مسلم، وقال محقق الكتاب : ورواه أحمد، والدارمى، والحاكم، وصححه وأقره الذهبى .

قال البغوى : قيل سمّاهما ثقلين؛ لأن الأخذ بهما، والعمل بهما ثقيل . ثم قال : قال زيد بن أرقم : أهلُ بيته من حُرم الصدقة بعده : آلُ على، وآل عقيلٍ، وآل

---

(١) قال ابن حجر فى (الإصابة) : زيد بن الأرقم استصغر يوم أحد، وأول مشاهده الخندق، وقيل : المريسيع، وغزا مع النبى ﷺ سبعة عشرة غزوة، ثبت ذلك فى الصحيح، ولها حديث كثير، وروى أيضا عن على، روى عن أنس مكاتبه، وأبو الطفيل، وأبو عثمان النهدى، وعبد الرحمن بن أبى ليلى، وعبد خير، وطاوس، وله قصة فى نزول سورة المنافقين فى الصحيح.

وقال زيد بن أرقم : كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة، فخرج بى ومعه مردف ـ يعنى إلى مؤتة ـ ... فذكر الحديث .

وهو الذى سمع عبدالله بن أبى يقول : (ليخرجن الأعز منها الأذل) فأخبر رسول الله ﷺ فسأل عبد الله فأنكر، فأنزل الله تصديق زيد، ثبت ذلك فى الصحيحين، وفيه قال ﷺ : «إن الله قد صدقك يا زيد» .

(٢) وفى رواية حدد المكان فقال : بماءٍ يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، فَحَمد الله .

(٣) فى صحيح مسلم : قالها مرتين، فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة .

جعفر، وآل عباسٍ» رضى الله عنهم أجمعين .

وقال أبو بكر ﷺ يحث الأمة على الاهتمام والرعاية لآل بيت رسول الله ﷺ : «ارْقُبُوا محمداً ﷺ فى أهل بيته» . رواه البغوى فى شرح السنة (٧ / ٢٠٤) وقال محققه: أخرجه البخارى وقال النووى فى رياض الصالحين : معنى (راقبوا) : راعوه؛ واحترموه؛ وأكرموه، والله أعلم .

ويدخل فى أهل بيته زوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين :

فعن أم سلمة قالت : فى بيتى أُنزلت :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب] . قالت : فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة، وعلى، والحسن، والحسين، فقال : «هؤلاء أهل بيتى» قالت : فقلت : يا رسول الله، أَمَا أنا من أهل البيت ؟ قال : «بلى إن شاء الله» . قال البغوى : هذا حديث صحيح الإسناد . فزوجات الرسول ﷺ أمهات المؤمنين ومن أهل بيته .

روى الإمام أحمد ـ بسند حسن ـ عن شَهْرِ بن حَوْشَب قال : سمعتُ أم سلمة زوج النبى ﷺ حين جاء نَعى الحُسين بن على ـ رضى الله عنهما ـ لعنت أهلَ العراقِ، فقالت : قتلوه، قتلهم الله، غَرُّوه وذَلُّوه، قتلهم الله، إنى رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غَدِيةً ببُرْمَة [1] قد صنعت له فيها عصيدةً، تحمِلُه فى طَبَقٍ لها، حتى وضعتها بين يديه، فقال لها : أين ابن عَمِّكِ؟ قال : هو فى البيت، قال : «فاذهبى : فادْعيه، وائتنى بابْنَيه»، قالت : فجاءت تقود ابنَيها كلٌّ واحد منهما بيد، وعلىٌّ يمشى فى إثرهما، حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسهما فى حِجره، وجلس علىٌّ عن يمينه، وجلست فاطمةُ عن يساره، قالت أم سلمة : فاجتذب من تحتى كِساءً خيبرياً، كان بساطاً لنا على المنامة فى المدينة، فلفَّه النبى ﷺ عليهم جميعاً، فأخذ بشماله طَرَفَىْ الكِساء، وألْوَى بيده اليمنى إلى ربّه عز وجل، قال : «اللهم أهلى أذهب عنهم

(١) غدية من الغداة، والبُرْمة : إناء من الفخار، والعصيدة : طعام من دقيق ودسم .

الرِّجس، وطَهِّرهم تطهيراً، اللهم أهل بيتى أذهبْ عنهم الرجِّس وطهِّرهم تطهيراً، قلت : يا رسول الله ! ألستُ من أهلِك قال : بلى، فادْخُلى فى الكِساء، قالت : فدخلت فى الكساء بعدما قضى دُعاءه لابن عمه على، وابنيه، وابنته فاطمة ـ رضى الله عنهم .

وروى أبو داود عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «من سَرَّهُ أن يكْتال بالمكيال الأوفى إذا صلَّى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صلِّ على محمدٍ، وأزواجه أمهات المؤمنين، وذرِّيته، وأهل بيته، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد» . وأما ترسيخ حب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فهم عمدة الإسلام، ومادته الأولية الأولى، فنزلت فيهم آيات تتلى إلى يوم القيامة تمدحهم، وتبين رضا الله عليهم الذى لا يتبدل ولا يتغير، وفضلهم على المسلمين بكل مذاهبهم مستمر إلى يوم القيامة : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح:١٨] ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ [المائدة : ١١٩] .

ويزيدنا الصحابى الصغير أبو سعيد الخدرى تأكيداً، وتحذيراً، فيروى لنا حديثاً فى ذلك :

فعن أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ قال : «لا تَسُبُّوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده، لوأن أحَدَكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً، ما أدرَكَ مُدَّ أحدِهم، ولا نصيفه» . متفق عليه .

قال البغوى : «والنصيف بمعنى النصف، وكذلك يقال للعشر : عشير، وللخمس : خميس، ومعنى الحديث : إن جُهد المُقِّل منهم واليسير من النفقة، مع ما كانوا فيه من شدة العيش والضرِّ، أفضل عند الله من الكثير الذى ينفقه مَنْ بعدهم» . انظر : شرح السنة (٧ / ١٧٢) .

ويحدثنا أيضاً عن النبى ﷺ قال : «يأتى على الناس زمانٌ، فيغْزُو فئامٌ من الناس،

فيقولون : هل فيكم مَنْ صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون : نعم، فَيفتحُ لهم . ثم يأتى على الناس زمان، فيغزو فئامٌ من الناس، فيقولون : هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون نعم : فيفتحُ لهم . ثم يأتى على الناس زمان، فيغزو فئامٌ من الناس، فيقال : هل فيكم من صاحبِ صاحبَ أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون : نعم، فيفتح لهم» . رواه البغوى وقال : هذا حديث متفق على صحته . والفِئام : الجماعات .

وروى الصحابى الصغير أيضاً أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «مثل أصحابى فى أمتى كالمِلْح فى الطعام، لا يصلُحُ الطعامُ إلا بالمِلْحِ» . رواه البغوى فى شرح السنة (٧/ ١٧٤) .

ثانياً : كيف ترسخ محبة النبى ﷺ فى الطفل؟

إذا تأملنا فى حياة أولاد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وكيف اكتسبوا محبة النبى ﷺ وكيف أصبح رسولهم أول شىء فى حياتهم، وأغلى من كل شىء فى الوجود، نلاحظ أنهم اتصفوا بما يلى :

١ـ السرعة فى الاستجابة لنداء الرسول ﷺ وتنفيذ أوامره :

إن ازدياد سرعة الاستجابة يزيد من المحبة، وهى برهان هذا الحب، فهذا على ابن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ يسارع فى تلبية دعوة النبى ﷺ إلى الإسلام، دون استشارة أحد من الناس؛ لأن الأمر أمر عقيدة ومبدأ، ولكل وجهة هو موليها، ولكل امرئ عقيدته التى يختارها، وكذلك يعايش ﷺ وهو فى الثامنة من عمره ـ الدعوة الإسلامية الأولى فى مرحلتيها : السرية والعلنية، دون خوف، أو وجل، ويصلى مع النبى ﷺ وزوجته خديجة فى شعاب مكة سرًا، فيراه أبوه أبو طالب، فإذا بعلى لا يخاف، ولا يتلجلج .

ثم هذا أنس ﷺ وهو الطفل الصغير الذى قام على خدمة النبى ﷺ عشر سنين يتخلى عن أحب شىء لدى الأطفال، ويستجيب للنداء، ويسارع لتنفيذ الأمر النبوى، فيترك اللعب، وينصاع للأمر، فقد أخرج أحمد والبخارى ومسلم عن ثابت عن أنس ﷺ قال : أتى علىَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان ، فسلم علينا، فبعثنى فى حاجته ... الحديث .

بل إن الأمر ليتعدى انتظار الأوامر، وينتقل أطفال الصحابة إلى مرحلة أعلى فى الحب الصادق، وذلك يترقب حاجيات حبيبهم ﷺ، ليسارعوا لوضعها أمامه، دون أن يتكلم، أو يسمع أمرًا، وهذا من قيم الحب الخالدة .

أخرج البخارى عن ابن عباس ﷺ أن النبى ﷺ دخل الخلاء، قال : فوضعتُ له وَضُوءًا، فقال : «من وضع هذا»؟ فأُخبر، فقال ﷺ : «اللهم فقهه فى الدين» .

وروى الشيخان والبيهقى عن عطاء بن أبى ميمون قال : سمعت أنساً يقول : كان رسول الله ﷺ يأتى الخلاء، فأتبعه أنا وغلام من الأنصار بإداوة من ماء، فيستنجى بها .

ومن أنواع السرعة فى الاستجابة : مبايعة أطفال الصحابة للرسول ﷺ :

أخرج مسلم عن عروة بن الزبير، وفاطمة بنت المنذر بن الزبير، أنهما قالا : خرجت أسماء بنت أبى بكر، حين هاجرت؛ وهى حُبلى بعبد الله بن الزبير، فقدمتْ قُباء، فنفست بعبد الله بقباء، ثم خرجت حين نُفست إلى رسول الله ﷺ ليحنّكه، فأخذه رسول الله منها، فوضعه فى حجره، ثم دعا بتمرة، قال : قالت عائشة : فجلسنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها . فمضغها، ثم بصقها فى فمه، فإن أول شىء لدخل بطنه لريق رسول الله ﷺ ثم قالت أسماء : ثم مسحه، وصلى عليه؛ وسماه : عبد الله، ثم جاء ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله ﷺ وأمره الزبير بذلك، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلاً إليه، ثم بايعه .

هكذا نشأ أطفال الصحابة على محبة رسولهم ﷺ، يدفعهم إلى ذلك الآباء والأمهات،ومن شبّ على شيء شاب عليه . قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ معلقاً على هذا الحديث : «هذه بيعة تبريك، وتشريف، لا بيعة تكليف، فإنه دون سن التكليف» [1] .

وروى أن الرسول ﷺ لم يبايع صبياً إلا الحسن، والحسين، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير ـ رضى الله عنهم [2] .

٢ـ قتل الأطفال لمن يؤذى النبى ﷺ :

يحدثنا عبد الرحمن بن عوف ﷺ فيما يرويه البخارى فى صحيحه ـ وهو فى قلب معركة بدر فيقول : وقف غلام على يمينى يسألنى : يا عمّ، دلّنى على أبى جهل، فيقول له : وما لَك يا بُنىّ من أبى جهل؟ فيقول له : والله، إن رأيته لن أفلته، لقد كان يؤذى رسول الله ﷺ، ثم غلام على يسارى، فسألنى مثل الأول، ثم تحتدم المعركة، ويشتد بأسها، فيلتفت عبد الرحمن بن عوف إلى الغلامين ويقول لهما : ذاك الذى تبغيان، ذلك أبو جهل، فينطلقان مسرعان بسيوفهما الصغيرة،كل منهما يريد أن ينال شرف السبق فى طعن عدو الله ورسوله، فيضربانه ضربة قوية، فيسقط أبو جهل على الأرض، فيتسابقان إلى زف البشارة إلى رسول الله! فيقول لهما ﷺ : «أريانى سيوفكما»، فيرى عليهما آثار الدماء، فيقول لهما : «كلاكما قتله» .

وروى أبو داود بسند صحيح عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن أعمى كانت له أُمُّ ولدٍ، تَشْتُمُ النبى ﷺ، وتَقَعُ فيه [3]، فينهاها فلا تنتهى، ويزجُرُها فلا تنْزَجرُ، قال : فلما كانت ذات ليلةٍ جعلت تَقَعُ فى النبى ﷺ، وتشتُمُهُ، فَأَخَذَ المِغْولَ [4] فوضَعَه

(١) شرح صحيح مسلم، باب : استحباب تحنيك المولود عند ولادته .
(٢) أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر المكى (ص ٨١) .
(٣)وقَعَ فيه : أى عابه وذمَّه .
(٤) المِغول : حديدة دقيقة لها حَدٌّ ماضٍ .

فى بطنها، واتكأ عليها، فقتَلها، فوقَعَ بين رجْلَيهَا طِفْلٌ، فَلَطَّخَتْ ما هناك بالدَّم، فلما أصبحَ، ذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ، فجَمَعَ الناسَ، فقال : «أَنْشُدُ الله رَجُلاً فَعَلَ ما فَعَلَ، لى عليه حقٌّ إلا قام» فقام الأعمى يتخطّى الناسَ، وهو يتَزَلْزَلُ، حتى قَعَدَ بين يدى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله، أنا صاحِبُها، كانت تَشْتُمكَ، وتَقَعُ فيك، فأنهاها فلا تنتهى، وأزجُرُها فلا تنزجِر، ولى منها ابنان . مثل اللُّؤلُؤتَين، وكانتْ بى رفيقةً، فلما كانت البارحة جعلتْ تشتُمُكَ، وتَقَعُ فيكَ، فأَخَذْتُ المِغْوَل، فوضعتُهُ فى بَطنِها، واتكأتُ عليهَا، حتى قَتَلْتُها، فقال النبىُّ ﷺ : «ألا اشهَدُوا أنَّ دَمَها هَدَرٌ»[1] . ورواه النسائى .

ومن هذا المنطلق انطلق أطفال السلف الصالح فى مقاتلة من يؤذى رسول الله ﷺ سواء بالاشارة، أو العبارة، أو النيل من رسول الله ﷺ .

فقد روى شهاب الدين الأبشيهى فى كتابه «المستطرف فى كل فن مستظرف» (٢/ ٣٤) قصة لطيفة فى معناها ومبناها، وهى : أن غلماناً من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة، وأسقف البحرين قاعد، فوقعت الكرة على صدره، فأخذها، فجعلوا يطلبونها منه، فأبى، فقال غلامهم : سألتك بحق محمد ﷺ إلا رَدَدْتها علينا، فأبى لعنه الله وسبَّ الرسول ﷺ فأقبلوا عليه بصواليجهم، فما زالوا يخبطونه حتى مات لعنه الله فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب ﷺ فوالله، ما فرح بفتح، ولا غنيمة، كفرحته بقتل الغلمان لذلك الأسقف، وقال : الآن عزّ الإسلام، إن أطفالاً صغاراً شُتم نبيهم، فَغَضِبوا له، وانتصروا، فأهدرَ دمَ الأسقف، والله سبحانه وتعالى أعلم[2] .

وإذا لم يستطع الطفل المسلم أن ينتقم من الرجال الذين يسيئون إلى رسول الله ﷺ فإنه ينقل الخبر الذى سمعه من كلام الفساق والمنافقين إلى رسول الله ﷺ وإلى المؤمنين من بعده .

---

(١) هَدرٌ : مستباح لا ضمان فيه .

(٢) وراجع حاشية ابن عابدين (٤ / ٢١٣) (ط ٢) مطلب فى حكم سبّ الذمى للنبى ﷺ .

فأوردت كتب التفسير سبب نزول الآية :﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون : ٨] .فقالت :يقول ابن سعد وابن إسحاق : فبينا [١] رسول الله ﷺ على ذلك الماء، وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من غفار، يقال له : جهجاه بن مسعود، يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا،فصرخ الجهنى : يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ! فغضب عبد الله بن أُبى بن سلول [٢] ، وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم، غلامٌ حَدَثٌ، فقال : أَوَقَدْ فعلوها؟ قد ثاورونا، يعنى: مهاجرى المسلمون من مكة، وكاثرونا فى بلادنا، والله !ما أعدنا وجلابيب قريش هذه، إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك، أما والله! لئن رجعنا إلى المدينة؛ لَيخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلّ، ثم أقبل على من حوله من قوله من المدينة، وقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله، لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم؛ لتحولوا إلى غير داركم، فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى إلى رسول الله ﷺ وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه، وأخبره الخبر ... الحديث» .

٣ ـ حب أطفال الصحابة لما يحب النبى ﷺ وكراهيتهم للجاهلية :

أخرج الخمسة [٣] ، وهذا لفظ البخارى : عن أنس بن مالك ﷺ قال : دخلت مع النبى ﷺ على غلام خياط، فقدّم إليه قصعة فيها ثريد، وعليه دُبَّاء، قال : وأقبل على عمله ـ يعنى الغلام ـ قال : فجعل النبى ﷺ يتتبع الدُبَّاء ـ القرع ـ قال أنس : فجعلت أتتبعه، وأضعه بين يديه، قال : وما زلْتُ بعد أُحبُّ الدبَّاء .

وروى الإمام أحمد عن أنس : أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمةٍ ردّدها

(١) بعد الانتهاء من غزوة بنى المصطلق والتهيؤ للعودة للمدينة المنورة .
(٢) رأس وزعيم المنافقين فى عهد الرسول ﷺ، ومع كل ما فعله من إفك، وفتنة، وتخلف عن الجهاد، لم يأمر الرسول ﷺ بقتله، ألا ليت الشباب المسلم المتحمس يدرس ذلك، ويعتبر به .
(٣) البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأبو داود .

ثلاثاً . وإذا أتى قوماً يسلم عليهم سلم ثلاثاً . قال ابن كثير فى الشمائل : ورواه البخارى .

وينقل الصحابى إلى أبنائه فيحفظون سنة رسول الله ﷺ عمليا بتطبيق آبائهم للسنة :

روى الإمام أحمد عن ثمامة بن أنس يذكر أن أنسًا كان إذا تكلم تكلم ثلاثًا .

ويذكر أن النبى إذا تكلم تكلم ثلاثاً، وكان يستأذن ثلاثًا .

وروى الترمذى عن ثمامة بن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم يعيد الكلمة ثلاثاً لِتُعقل عنه . قال الترمذى : حسن صحيح غريب .

وأما عن كراهية أطفال الصحابة لأمور الجاهلية، وعاداتها ، وتقاليدها، وأمورها، وانتظارهم الحكم القرآنى، أو النبوى :

فعن عاصم قال : قلت لأنس بن مالك ﷺ : أكنتم تكرهون السعى بين الصفا والمروة ؟! قال : نعم؛ لأنها كانت من شعائر الجاهلية، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[البقرة : ١٥٨] . متفق عليه .

ومن هنا فإن الآباء، والأمهات، والمربين مدعوون لتعريف الأطفال أمور الجاهلية الحديثة المخالفة لما عليه شريعة الإسلام، وذلك حتى لا يقعوا فى شباكها؛ التى بدأت تُهدد الأخضر واليابس، من انتشار المخدرات، وغزو القنوات الفضائية للبيوت، وما فيها من رذائل فاضحة، بحيث أصبحت حضارة اليوم حضارة الزنا والخنا؛ وحضارة تحطيم الناس والشعوب؛ بصيدهم فى النهار بالمخدرات، وفى الليل بالقنوات الفضائية عبر الرائى (التلفاز) .

وبدأت صيحات الآباء والأمهات الغيورين على تربية أطفالهم يحسون بالخطر

المدلهم حولهم، وبدؤوا يبحثون عن المخرج، فها هو المخرج بين أيديهم : «منهج التربية النبوية للطفل» يبصرهم، ويرشدهم لكيفية التعامل مع أطفالهم، ويدعوهم إلى اليقظة الدائمة، والانتباه المستمر، والتربية الفعالة .

ولن ينفع الآباء كثرة أموالهم إذا اكتشفوا انحراف ولدهم، فسوف يأكل ذلك الانحراف جميع ثروات الآباء، أو جُلَّها، وكان بإمكانهم تجنب ذلك بالانتباه إلى تربية أطفالهم، ورعايتهم، واحتضانهم، وهيا نقرأ دعوة الله إلينا عبر رسله، وأنبيائه، وأصفيائه :

﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [هود] .

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحقاف] .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [غافر] .

٤ـ حفظ أطفال الصحابة والسلف الصالح للأحاديث النبوية :

أخرج البخارى عن محمود بن الربيع ﷺ قال : عَقَلْتُ ـ أى : حفظت ـ من النبى ﷺ مَجَّةً مجَّها فى وجهى، وأنا ابن خمس سنين؛ من دَلْو .

وأخرج الترمذى عن أبى الحوراء السعدى ربيعة بن شيبان قال : قلت للحسن ابن على ﷺ : ما حفظتَ من رسول الله ﷺ؟ قال : حفظتُ منه : «دَعْ ما يريبُكَ إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة» . ورواه النسائى وأحمد وغيره،

وإسناده صحيح [1] .

وعن محمد بن أبى بكر الثقفى قال : سألتُ أنسًا، ونحن غاديان من مِنى إلى عرفات عن التلبية، كيف كنتم تصنعون مع النبى ﷺ ؟ قال : كان يلبى الملبِّى لا ينْكِرُ عليه، ويكبِّرُ المكبرُ فلا ينكر عليه . متفق عليه .

وأخرج البخارى ومسلم عن سمرة بن جندب ﷺ قال : لقد كنتُ على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعنى من القول إلا ها هنا رجالاً، هم أسنّ منى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بِتُّ عند خالتى ميمونة رضى الله عنهما فأتاه المؤذن، فخرج أى : النبى ﷺ إلى الصلاة وهو يقول :

«اللهم اجْعل فى قلبى نورًا، واجْعل فى لسانى نورًا، واجعل فى سمعى نورًا، واجعل فى بصرى نوراً، واجعل خلفى نوراً، ومن أمامى نوراً، واجعل من فوقى نوراً،ومن تحتى نوراً، اللهم أعظم لى نوراً» . رواه ابن خزيمة فى صحيحه (١/ ٢٢٩) بسندين أحدهما صحيح .

وعن أبى جُحيفة ﷺ وكان من صغار الصحابة، كان مراهقاً لما توفى النبى ﷺ ـ قال : أتيت النبى ﷺ بمكة، وهو بالأبطح، فى قُبّة له حمراءَ من أدَم، قال : فخرج بلال بوضوئه، فبين نائل وناضح، قال : فخرج رسول الله ﷺ فى حلة حمراء، كأنى أنظر إلى بياض ساقيه، قال : فتوضأ، وأذّن بلال، قال : فجعلتُ أتتبعُ ها هنا، يقول : يميناً وشمالاً، يقول : حى على الصلاة، حى على الفلاح، ثم رُكِزَتْ له عَنَزَةٌ [2]؛ فقام،

---

(١) انظر : جامع الأصول (٦/ ٤٤٣) تحقيق : الأرناؤوط . ورواه الحاكم فى مستدركه (٢/ ١٣ - ٤/ ٩٩) بلفظ : « فإن الشر ريبة، والخير طمأنينة» وقال الذهبى : صحيح، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (٣/ ١٠٣) .

(٢) العنزة : أى : شىء يضعه المصلى أمامه لكيلا يمر أحد من مكان سجوده، وإنما يمر من خلف العنزة.

فصلى العصر رَكعتين [1]، ثم يمر بين يديه الحمار والكلب لا يمنع، ثم لم يزل يصلى ركعتين حتى رجع إلى المدينة . رواه أبو يعلى فى مسنده (٢/ ١٨٨) بإسناد صحيح، ورواه مسلم، وصححه ابن حبان، ورواه أحمد والبخارى .

وفى رواية : «أن أبا جُحيفة حدث أنه رأى النبى ﷺ توضأ بالهاجرة، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه، ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وبين يدية عَنَزَةٌ» .

وينقل الصحابى الصغير إلى التابعين ما رآه من فعل رسول الله ﷺ عمليا :

أخرج مسلم عن همام قال : حدثنا أنس بن سيرين قال : تلقينا أنسَ بن مالك حين قدم الشام، فتلقيناهُ بعين التمر، فرأيته يصلى على حمارٍ، ووجهه ذاك الجانب، وأومأ همامٌ عن يسار القِبْلة فقلتُ له : رأيتُك تُصلى لغير القِبْلَة! قال : لولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يفعلُهُ لم أَفْعلْهُ .

فليكن شعار المحبين لرسول الله ﷺ : لو لم أسمع أن النبى ﷺ فعلَهُ لم أفعلْه .

وأخرج مسلم عن السُّدى قال : سألت أنساً : كيف أنصرف إذا صليتُ عن يمينى أو عن يسارى؟ قال : أما أنا فأكثر ما رأيتُ رسول الله ﷺ ينصرف عن يمينه .

وأخرج مسلم عن عبد الله بن شقيق العُقَيلى قال : قال رجل لابن عباس رضى الله عنهما (وكان يخطب) الصلاةَ؟! . فسكت، ثم قال : الصلاة؟! فسكت ثم قال : الصلاة؟! فسكت ثم قال : لا أُمَّ لكَ أتُعلِّمنا الصلاةَ، وكنا نجمع [2] بين الصلاة على عهد رسول الله ﷺ؟!

---

(١) أى : يقصر الصلاة من أربع ركعات إلى ركعتين، أى : اعتبر النبى ﷺ نفسه مسافراً، حيث تحول موطنه الأصلى من مكة إلى المدينة .

(٢) فسر الحنفية هذا الحديث وأحاديث جمع الصلاة بالجمع الصورى، وذلك بتأخير وقت صلاة الظهر إلى آخر وقتها ثم الانتظار، فيدخل وقت العصر فتصلى فى وقتها، وفسر الجمهور بالجمع الحقيقى، فمذهب الحنفية أحوط، ومذهب الجمهور على الجواز . وتنظر المسألة فى كتب فقه الأدلة .

وهكذا يخبر العلماء الناس سنة رسول الله ﷺ، وأحكامه، وسيرته . وإن الصحابة الكرام يبلغون أبناءهم ما رَأَوْه من رسول الله ﷺ، فيرسخون محبته فى قلوبهم :

أخرج مسلم عن ابن شهاب عن عبد الله بن ربيعة أخبره أن أباه أنه رأى رسول الله ﷺ يصلى السُّبْحَةَ بالليل فى السفر على ظهر راحلته حيث توجهت .

وهكذا نرى أن جهود الآباء تتضافر مع جهود العلماء فى تربية الأطفال، فكل مسلم مسؤول عن تربية الأطفال على حسب نسبة المسؤولية المناطة به .

والآن مع قصة عجيبة، وذاكرة عظيمة، حباها الله للغلام الصاعد، والعلامة القائد، والمجاهد الكبير، أحمد بن تيمية [1] ـ رحمه الله ـ فيقول الحافظ محمد بن أحمد عبد الهادى فى «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» :

«انبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه، واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب [2] قدم إلى دمشق، وقال : سمعت فى البلاد بصبى يقال له : أحمد بن تيمية، وإنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصداً لعلّى أراه، فقال له خياط : هذه طريق كُتَّابه، وهو إلى الآن ما جاءنا، فاقعد عندنا الساعة يجىء، يعبْر علينا ذاهباً إلى الكتّاب، فجلس الشيخ الحلبى قليلاً، فمر صبيان، فقال الخياط : ها ذاك الصبى، الذى معه اللوح الكبير؛ هو أحمد بن تيمية . فناداه الشيخ، فتناول الشيخ اللوح منه، فنظر فيه، ثم قال له : امسح ياولدى هذا، حتى أملى عليك شيئاً تكتبه، ففعل، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر، أو ثلاثة عشر حديثاً، وقال له : اقرأ على هذا، فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه، ثم دفعه إليه، وقال : اسمعه على، فقرأه عليه عرضاً؛ كأحسن ما أنت سامع، فقال له : يا ولدى، امسح هذا، ففعل، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال : اقرأ هذا، فنظر

(١) عن مقدمة تحقيق كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) لابن تيمية، تحقيق : محمد حامد الفقى .
(٢) وهى مدينة كاتب هذه السطور، حفظها الله وسائر بلاد المسلمين .

فيه كما فعل أول مرة، ثم أسمعه إياه كالأول، فقام الشيخ، وهو يقول : إن عاش هذا الصبى ليكونن له شأن عظيم، فإن هذا لم ير مثله» .

وكان الأعمش ـ رحمه الله ـ يقول : عليكم بملازمة السنة، وعلموها للأطفال؛ فإنهم يحفظون على الناس دينهم إذا جاء وقْتَهم [1] .

ومما يلفت الانتباه : حرص الصحابة والتابعين وتابع التابعين بتحفيظ الأطفال أحاديث رسول الله ﷺ سنداً ومتناً، ما نبينه فى الإحصائية التالية لصحيح البخارى [2] :

ـ ما رواه الأبناء عن الآباء والأمهات (١٤٧٠) ألف وأربعمائة وسبعون حديثاً .

ـ وما رواه الابن عن أبيه عن جده (١٣٤) مائة وأربعة وثلاثون حديثًا .

ـ وما رواه الابن عن جده (٢٠٩) مائتان وتسعة أحاديث .

ـ وما رواه المحدث عن أخيه وأخته (٧٠) سبعون حديثًا .

ـ وما رواه عن عمه وعمته (١٩٨) مائة وثمان وتسعون حديثًا .

ـ وما رواه عن خاله وخالته (٨٠٣) ثمانمائة وثلاثة أحاديث .

فيكون مجموع الأحاديث التى أخذها المحدث منذ صغره إلى كبره عن عائلته هو (٢٨٨٤) ألفين وثمانمائة وأربعة وثمانين حديثاً، أى : ما يعادل نصف أحاديث صحيح البخارى بحذف المكرر .

وهذا يدل دلالة أكيدة على اعتناء الرعيل الأول فى القرون الخيرية على توريث سنة رسول الله ﷺ للأطفال، بحيث تتكاتف الأسرة بأركانها الأساسيين الأب والجد والعم والعمة والخال والخالة فى تربية الطفل تربية نبوية، وحرص الجميع على رعاية الطفل . وفقنى الله وإياك للتأسى بمثل أولئك الركب الصالح . فالأقربون أولى بالمعروف .

---

(١) انظر : المنن الكبرى للإمام عبد الوهاب الشعرانى ـ رحمه الله .

(٢) برنامج صخر لصحيح البخارى، الإصدار الأول .

كما اعتنى علماء الحديث بفن من علوم الحديث سموه « رواية الأكابر عن الأصاغر، والآباء عن الأبناء وعكسه» .

وهذا يدل على التفاعل العلمى القوى بين علماء الحديث مع الأطفال، فهم يلقنونهم الحديث الشريف، ويروونه لهم، ثم يأتى آخرون فيأخذون عنهم ، ولم يكن الصغر، وسن الطفولة عائقاً لتلقى الرواية، وتحملها، ثم أداؤها إلى الآخرين، ما دام الطفل قادراً على الحفظ والرواية .

ذكر العلامة المحدث محمد بن جعفر الكتانى فى كتابه « الرسالة المستطرفة لمشهور بيان كتب السنة المشرفة» (ص ١٢٢) عن تلك الكتب المؤلفة فى هذا الفن، فقال ـ رحمه الله تعالى :

«ومنها كتب رواية (الأكابر عن الأصاغر) و (الآباء عن الأبناء) وعكسه، وهى أنواع مهمة، ولها فوائد، والأصل (أى : الدليل) فى أولها رواية النبى ﷺ عن تميم الدارى خبر الجساسة، ومن كتبها :

ـ كتاب : (ما رواه الكبار عن الصغار؛ والآباء عن الأبناء) للحافظ أبى يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن يونس بن المنجنيقى البغدادى الوراق، نزيل مصر، الثقة الحافظ المتوفى سنة أربع وثلاثمائة .

ـ وكتاب (رواية الصحابة عن التابعين) .

ـ وكتاب : (رواية الآباء عن الأبناء) كلاهما للخطيب البغدادى .

ـ وكتاب : (رواية الأبناء عن آبائهم) لأبى نصر عبيد الله بن سعيد السجزى الوائلى، وزاد عليه بعض المتأخرين؛ أشياء مهمة نفيسة، كما قال ابن كثير .

ـ وكتاب : (من روى عن أبيه من الصحابة والتابعين) لأبى حفص بن شاهين .

ـ وجُزْء من روى عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ لصلاح الدين أبى سعيد خليل

ابن كيكلدى العلائى الحافظ، وهو أجمع مصنف صنف فى هذا، أعنى من روى عن أبيه عن جده، وهو فى مجلد كبير، قسمه أقساماً، وخرّج فى كل ترجمة حديثاً من مرويه، وقد لخصه الحافظ ابن حجر، وزاد عليه تراجم كثيرة . انتهى» .

ومن أنواع الحديث الصحيح كما قال الحاكم : «الخامس أحاديث جماعة من الأئمة عن آبائهم عن أجدادهم، لم تتواتر الرواية عن آبائهم عن أجدادهم إلا عنهم، كعَمْرو بن شُعيب عن أبيه عن جده، وبَهْز بن حكيم عن أبيه عن جدّه، وإياس بن معاوية بن مُزَّة عن أبيه عن جده، أجدادهم صحابة وأحفادهم ثقات، فهذه أيضاً محتج بها، مُخَرَّجة فى كتب الأئمة دون «الصحيحين» [1] .

وهكذا خلد أسماء الأجداد مع الآباء مع الأحفاد، وتلك ميزة تعليم الأطفال .

وهذا الفتى التابعى عبد الله بن رباح من الأنصار يحدِّث عن الصحابى الجليل أبى قتادة قصة رحلته مع رسول الله ﷺ، ورعايته له فى المسير، واهتمامه برسول الله ﷺ، وإن كان فى القصة طول إلا أن فيها فوائد تربوية :

أخرج مسلم عن عبد الله بن رباح عن أبى قَتادة ﷺ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : «إنكم تَسيرون عَشيتكم وليلتكم، وتأتون الماء إن شاء الله غداً» . فانطلق الناسُ لا يلوى أحد على أحد .

قال أبو قَتادَة : فبينما رسول الله ﷺ يسيرُ حتى ابْهارَّ الليلُ (أى : انتصف الليل) وأنا إلى جنبه، قال : فَنَعس رسول الله ﷺ، فمالَ عن راحلته، فأتيتُه فَدَعَمْتُهُ مِنْ غير أن أوقظَهُ حتى اعتدلَ على راحلته، قال : ثم صار حتى تَهَوَّرَ الليلُ مالَ عن راحلته، قال : فَدعمتُهُ من غير أن أُوقظَهُ حتى اعتدل على راحلته، قال : ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مالَ ميلة هى أشدُ من المَيلتين الأُولَيين حتى كاد ينجفِلُ، فأتيتُهُ، فدعمتُهُ فرفع

(١) انظر : تدريب الراوى (ص ٧٦-٧٧) نقلاً عن : قواعد علوم الحديث للشيخ عبد الفتاح أبى غدة ـ رحمه الله (ص٦٦) .

رأسه، فقال ﷺ : «مَنْ هذا ؟»، قلت : أبو قتادة، قال : «متى كان هذا مسيرك مِنِّى؟»، قلتُ : مازال هذا مسيرى منذُ الليلةَ . قال ﷺ : «حَفِظكَ الله بما حَفِظْتَ به نَبيه» .

ثم قال ﷺ : «هل تَرانا نَخْفَى على الناس؟»، ثم قال ﷺ : «هل ترى من أحدٍ؟» قلتُ : هذا راكبٌ، ثم قلت : هذا راكبٌ آخَرُ، حتى اجتمعنا، فكُنَّا سبعةَ رَكْب، قال : فمال رسول الله ﷺ عن الطريق، فوضعَ رأسَهُ، ثم قال ﷺ : «احفظوا علينا صلاتنا»، فكان أول من استيقظَ رسول الله ﷺ والشمسُ فى ظهرِه، قال : فقُمنا فزِعين، ثم قال ﷺ : «اركبوا» فركبنا؛ فسِرْنا حتى إذا ارتفعت الشمسُ، نزلَ، ثم دعا بميضَأَةٍ كانت معى فيها شىءٌ من ماء، قال : فتوضأَ منها وُضُوءاً دُون وُضوءٍ (أى : وضوءًا خفيفًا)، قال : وبقى منها شىء من ماء، ثم قال ﷺ لأبى قتادة : «احفظ علينا مِيضأَتَكَ فسيكون لها نبأ» .

ثم أذن بلال بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ رَكعتين، ثم صلى الغداة، فصنع كما كان يصنع كل يوم، قال : ورَكِبَ رسول الله ﷺ وركبنا معه، قال : فجعلَ بعضُنا يهمِسُ إلى بعضٍ : ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا فى صلاتنا؟، ثم قال ﷺ : «أما لكم فى أُسوةٌ» ثم قال : «أما إنه ليس فى النوم تفريط، إنما التفريط على من لم يصلِّ الصلاة حتى يجىء وقتُ الصلاة الأخرى، فمن فعل ذلك فَلْيصلِّها حين ينتبه لها، فإذا كان الغدُ فليصلّها عند وقتها»، ثم قال ﷺ : «ما تَرَوْنَ الناس صنعوا؟»، ثم قال [1] : «أصبح الناسُ فقدوا نبيهم؛ فقال أبو بكر وعمرُ : رسول الله ﷺ بعدَكم لم يكن ليخلِّفكم، وقال الناس : إن رسول الله ﷺ بين أيديكم، فإن يطيعوا أبا بكر وعمرَ يرْشُدوا» .

قال : فانتهينا إلى حين امتدّ النهار، وحَمِى كلُّ شىء، وهم يقولون : يارسول الله، هلكنا ! عطشنا ! فقال ﷺ : «لا هُلْك عليكم» ثم قال ﷺ : «أَطْلِقوا لى غُمرى [2]»،

(١) يخبر الرسول ﷺ ماذا قال أبو بكر وعمر وماذا قال الآخرون، وهذا من معجزاته .
(٢) القدح الصغير .

قال : ودعا بالمِيضَأَة، فجعلَ رسول الله ﷺ يصُبُّ، وأبو قتادة يسقِيهم، فلم يعْدُ أن رأى الناسُ ماءً فى المِيضأَة تكابُّوا عليها، فقال رسول الله ﷺ : « أحْسنوا المَلْءَ كُلُّكم سيروى»، قال : ففعلوا، فجعل رسول الله ﷺ يصُبُّ، وأسقيهم، حتى ما بقى غيرى وغيرُ رسول الله ﷺ، قال : ثم صبَّ رسول الله ﷺ فقال لى : «اشْربْ»، فقلت : لا أشربُ حتى تشرب يا رسول الله، قال : «إن ساقى القومِ آخرُهم شُرْبًا»، قال : فشربتُ وشرِبَ رسول الله ﷺ، قال : فأتى الناسُ الماءَ جامّين رِواءً، قال : فقال عبد الله بن رباح : إنى لأُحَدِّثُ هذا الحديثَ فى المسجد الجامع إذ قال عِمْرانُ بنُ حُصين رضي الله عنه : انظرْ أيها الفتى كيف تُحدثُ، فإنى أحدُ الركب تلكَ الليلةَ . قال : قلتُ : فأنت أعلم بالحديث!، فقال : ممن أنت؟ قلتُ : من الأنصار، قال : حَدِّثْ، فأنتم أعلم بحديثكم، قال : فحدثتُ القوم، فقال عِمْرانُ : لقد شَهِدْتُ تلك الليلة، وما شعرتُ أن أحداً حفِظَهُ كما حفِظْتُهُ .

هكذا تصدّر المَجلس فتيان التابعين يروون أحاديث رسول الله ﷺ، ومعجزاته، وسيرته الشريفة فى حِلّه وترحاله، وفى حضره وسفره، وفى نهاره وليله، وفى يقظته ونومه، وفى سيره ووقوفه، وفى صلاته وحديثه . إنه الحب الصادق الخالد لخاتم النبيين .

أ ـ مكافآت على حفظ الأطفال للأحاديث النبوية :

ذكر الخطيب البغدادى فى كتابه: «شرف أصحاب الحديث» (ص١٠) :

روى [١] النضر بن الحارث قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : قال لى أبى : يا بنى، اطلب الحديث، فكلما سمعتَ حديثاً، وحفظتَه، فلكَ درهم [٢] ، فطلبتُ الحديث على هذا .

---

(١) عن : أصول الحديث للدكتور عجاج الخطيب (ص١٠٠) .

(٢) كان والدى ـ حفظه الله ـ يعطينى عشرة قروش سورية على حفظ الحديث من الأربعين النووية، متبعاً هذا المنهج، فجزاه الله خير الجزاء .

ب ـ خدمة أطفال السلف الصالح للعلماء؛ لقاء تلقى الحديث الشريف عنهم :

ذكر صاحب «المحدّث الفاصل» : روى سفيان بن عيينة قال : كان أبى صَيرفياً بالكوفة، فركبه الدَّين، فحملنا إلى مكة، ورجعنا إلى المسجد لصلاة الظهر، ولما صرت إلى باب المسجد، إذا شيخ على الحمار، فقال لى : يا غلام، أمسك على هذا الحمار، حتى أدخل المسجد فأركع، فقلت : ما أنا بفاعل أو تُحدثنى، قال : وما تصنع أنتَ بالحديث؟ واستصغرنى، فقلت : حدّثنى، فقال : حدّثنى جابر عن عبد الله، وحدثنا ابن عباس، فحدّثنى بثمانية أحاديث، فأمسكتُ حماره، وجعلتُ أَتَحَفَّظُ [1] ما حدثنى به، فلما صلى وخرج، قال : ما نفعكَ ما حدثتكَ به؛ إذ حبستنى، فقلتُ : حدثتنى بكذا، وحدثتنى بكذا، فرددتُ عليه جميع ما حدثنى به، فقال : بارِكَ الله فيكَ، تعالَ غداً إلى المجلس، فإذا هو عمرو بن دينار [2] .

جـ ـ هجرة أطفال السلف الصالح ورحلتهم فى طلب الحديث النبوى :

ذكر الخطيب البغدادى عن طلب والد على بن عاصم قال : «دفع إلى أبى مائة ألف وقال : اذهب فلا أرى لك وجهاً، إلا بمائة ألف حديث» [3] .

وشرح على بن عاصم رحلته فى طلب الحديث فقال [4] :

خرجتُ من واسط إلى الكوفة، أنا وهشيم، لنلقى منصوراً، فلما خرجتُ من واسط، سرت فراسخ، لقينى إما معاوية وإما غيره، فقلت : أين تريد؟ قال : أسعى فى دَينٍ علىّ، قال : فقلتُ : ارجعْ مع، فإنى عندى أربعة آلاف درهم أعطيك منها، فرجعتُ فأعطيتُه ألفين، ثم خرجت، فدخل هشيم الكوفة بالغداة، ودخلتها بالعشى، فذهب هشيم فسمع من منصور أربعين حديثًا، ودخلت أنا الحمام، فلما

---

(١) أى : أكرر ما حفظته، وهذه هى طريقة تثبيت المحفوظ بالتكرار، ودوام المراجعة .
(٢) عن : أصول الحديث لعجاج الخطيب (ص١٦) .
(٣) فى كتابه : (الرحلة فى طلب الحديث) تحقيق : الدكتور نور الدين عتر (ط١) .
(٤) المصدر السابق (ص١٧٢) .

أصبحتُ، مضيتُ؛ فأتيتُ باب المنصور، فإذا جنازة، فقلت : ما هذه؟ قالوا : جنازة منصور، فقعدت أبكى، فقال لى شيخ هناك : يا فتى، فأدلك على من شهد عرس أمّ هذا؟ قلت : نعم، قال : اكتب : حدثنى عكرمة عن ابن عباس، قال : فجعلتُ أكتب عنه شهراً، فقلت له : من أنتَ رحمك الله؟ قال : أنت تكتب عنى منذ شهر ولم تعرفنى؟ أنا حصين بن عبد الرحمن، وما كان بينى وبين أن ألقى ابن عباس إلا سبعة دراهم، أو تسعة دراهم، فكان عكرمة يسمع منه، ثم يجيء فيحدثنى .

فانظر ـ رعاك الله ـ إلى تضحية هذا الفتى، الذى بذل نصف ماله، وأضاع من وقته، وهجر الأوطان، فتأخر عن لقاء الشيخ منصور، فهيأ الله تعالى له شيخاً هو شيخ المشايخ، وأستاذهم آنذاك : حصين بن عبد الرحمن، وما ذاك إلا دليل على شدة الإخلاص فى طلب العلم، وصدق المحبة لرسول الله ﷺ .

د ـ كتابة الأحاديث النبوية، والتأكد من صحة الكتابة :

عن هشام بن عروة قال : قال لى أبى : كتبتَ؟ قال : قلت : نعم، قال : عارَضْتَ؟ قال : لا، قال : لم تكتب. رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٩/ ١١١) .

وهذا المنهج العلمى فى عرض الكتابة على الأصل، والتأكد من سلامة وصحة الكتابة يؤكد الحرص الكبير على جلالة قدر تراثنا العظيم، ويقظة وانتباه الآباء والعلماء إلى المنهج العلمى القويم، وتعويد الصغير عليه ليشبّ معه بكل ثقة، واعتزاز .

هـ ـ حفظ البنات للأحاديث النبوية :

قال الزبيدى [1] : كانت لمالك بن أنس ابنة تحفظ علمه، يعنى : الموطأ، وكانت تقف خلف الباب، فإذا أخطأ التلميذُ نَقَرَت البابَ، فيفطنُ مالك؛ فيردّ عليه .

(١) عن كتاب : الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكى، تحقيق : الدكتور محمود الأحمدى .

و ـ الأطفال يهتمون بروايات الحديث النبوى وفقهه :

أورد الخطيب البغدادى [١] : أن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت لابن أختها عروة بن الزبير : يا بُنَى، بلغنى أنك تكتب عنى الحديث، ثم تعود فتكتبه، فقال : أسمعه منك على شىء، ثم أعود فأسمعه على غيره، فقالت : هل تسمع فى المعنى خلافاً ؟ قال : لا، قالت : لا بأس بذلك [٢] .

٥ ـ دراسة الأطفال للسيرة النبوية، ومدى تأثيرها فيهم :

حرص الصحابة والسلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ على دراسة سيرة النبى ﷺ وتلقينها لأطفالهم، حتى إنهم ليقرئونها مع تعليم القرآن؛ لأنها الترجمان لمعانى القرآن، مع ما فيها من إثارة العاطفة، ومشاهدة الواقع الإسلامى، وتأثير عجيب فى النفس، ولما تحمل فى طياتها من معانى الحب، والجهاد فى إنقاذ البشرية من الضلال إلى الهدى، ومن الباطل إلى الحق، ومن ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام .

فعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال : كان أبى يعلّمنا المغازى والسرايا، ويقول : يا بنى، إنها شرف آبائكم، فلا تضيعوا ذكرها [٣] .

وقال زين العابدين بن الحسين بن على ﷺ : كنا نُعلَّم مغازى رسول الله ﷺ ـ كما نُعلَّم السور من القرآن [٤] . وقال السمعانى : يجب على الآباء تعليم أولادهم أن النبى ﷺ بعث بمكة إلى كافة الثقلين، ودفن بالمدينة، وأنه واجب الطاعة والمحبة (فيض القدير للمناوى ١/ ٢٢٦) .

والآن نسير مع الداعية المتواضع أبى الحسن على الندوى، وهو يقصّ لنا فى

---

(١) فى كتاب : الكفاية فى علم الرواية (ص٢٠٥) .
(٢) عن : أصول الحديث لعجاج الخطيب (ص١٦٢/ ١/ ٨٦) .
(٣) عن كتاب : محمد رسول الله للشيخ محمد رضا (ص١٥١) ومقدمة السيرة الحلبية .
(٤) عن كتاب : محمد رسول الله للشيخ محمد رضا (ص١٥١) ومقدمة السيرة الحلبية .

كتابه : الطريق إلى المدينة، تحت عنوان : (الكتاب الذى لا أنسى فضله) رحلته مع السيرة، أيام طفولته، وكيف كانت تهتز نفسه البريئة بحوادث السيرة، وكيف أن كتاباً فى السيرة النبوية، صنع هذا العالِم الكبير، والداعية المجاهد :

«أتحدث اليوم عن كتاب كانت مِنَّتُه ـ ولا تزال ـ عظيمة على، وإنى دائم الترحّم على صاحبه العظيم، الذى أتحفنى عن طريق هذا الكتاب، بمنحة هى أغلى شىء عندى، بعد الإيمان، بل هو جزء من أجزاء الإيمان، وهو كتاب (سيرة رحمة العالمين) لمؤلفه القاضى محمد سليمان المنصورفورى ـ رحمة الله عليه ـ ولهذا الكتاب قصة عجيبة .

لقد كان أخى الأكبر ـ رحمه الله ـ وهو الذى تولى تربيتى، وتثقيفى بعد وفاة أبى وقد توفى وأنا فى التاسعة من عمرى، موفقًا كل التوفيق فى اختيار الكتب التى كان يحب أن أطالعها فى صغرى، فقد قدَّم إلى فى أول ما قدَّم كتاب (سيرة خير البشر) لمؤلف هندى، وكان حريصاً على أن أكثر من مطالعة كتب السيرة النبوية؛ على صاحبها الصلاة والسلام؛ لأنه يعرف أنها المؤثر الأكبر فى تكوين السيرة، والعقيدة، والخُلُق، وغرس الإيمان، وقد نشأت لذلك على حب كتب السير، والحرص على اقتنائها ومطالعتها، فوقع بصرى مرة على كتاب (رحمة العالمين) وكنت كثير النظر فى الفهارس، وإعلانات الكتب، وأرسلت طلباً لهذا الكتاب، وكان قد طبع منه جزءان، تقصر ميزانيتى الصغيرة ـ وأنا فى العاشرة، أو الحادية عشرة من عمرى ـ عن شرائه، ولكن الصغار ـ خصوصاً فى العصر الذى أتحدث عنه ـ لا يخضعون لقوانين الميزانيات؛ وعلم الاقتصاد، إنما ينساقون مع الغرائز والعواطف، وجاء ساعى البريد، وهو يحمل هذا الكتاب فيما يحمله من بريد قريتنا الصغيرة، ولم أملك ما أتسلم به هذا الكتاب، وأدفع ثمنه، واعتذرتْ أمى ـ رحمها الله ـ مع حرصها على إرضاء طفلها اليتيم عن دفع النقود؛ لأنها لم تكن تملكها فى ذلك الحين، ورأيت فلم أر لى مساعداً وشفيعاً فى هذه المهمة؛ إلا الشفيع الذى لجأ إليه سيدنا عُمير بن أبى

وقاص الصغير، فَقَبِلَ رسول الله ﷺ شفاعته، وأجازه للقتال فى بدر، ذلك شفيع الدموع، والبكاء البرىء، الذى لم يزل وجيهًا مسموعًا عند الله، وعند عباده الصالحين، وكذلك كان، فقد رقَّ لذلك قلب أمى الحنون، واجتهدتْ فى دفع ثمن الكتاب، والحصول عليه، وأخذتُ الكتاب .

بدأت أقرأ الكتاب، وبدأ الكتاب يهزّ قلبى، وليست بهزة عنيفة مزعجة، إنما هى هزة رقيقة، وقلبى يهتز له، ويطرب، كما اهتز تحت البارد الغصن الرطب، وهذا هو الفارق بين الكتب التى ألفت فى حياة الأبطال، والفاتحين الكبار، وبين الكتب التى ألفت فى سيرة الرسول ﷺ فالأولى تُغِيرُ على القلب، وتزعجه، وللثانية هزّة تنبعث من النفس، وتريحها .

وبدأتْ تتجاوبُ نفسى لهذا الكتاب، وتسيغه كأنما كانت منه على ميعاد، وشعرت فى أثناء قراءتى لهذا الكتاب بلذة غريبة، إنها لذّة تختلف عن جميع اللذات، التى عرفتها فى صغرى ولم أزل مرهف الحس، قوى الشعور، فلا هى لذة الطعام الشهى فى يوم الجوع، ولا هى لذة العطلة والفراغ بعد الدراسة المضنية، والاشتغال المرهق، ولاهى لذة اللباس الجديد فى يوم العيد، ولا هى لذة اللعب فى حين الشوق إليها، ولا هى لذة الانتظار والظفر فى المباراة، ولا هى لذة زيارة صديق قديم، أو زائر كريم، إنها لا تشبه لذة من هذه اللذات، إنها لذة أعرف طعمها، ولا أستطيع وصفها، وأعترف أنى لا أستطيع حتى اليوم أن أصفها بدقة، ولا أعبّر عنها بكلمة، إن غاية ما أستطيع أن أقول : إنها لذة الروح، وهل الأطفال لا يحملون الأرواح، ولا يشعرون باللذة الروحية؟! بلى والله، إن الأطفال أشفّ روحًا، وأصحّ شعوراً، وإنْ عجزوا عن التعبير .

كنت أقرأ فى هذا الكتاب المعجب المطرب، خبر من كان يسلم من قريش، فتنهال عليه أنواع العذاب، فكان يتحمل كل ذلك فى ثبات وصبر، بل ولذّة

وسرور، فكنت أشعر بأن هناك لذة لا يعرفها كثير من الأغنياء والأقوياء، وكثير ممن يعدون فى الحياة سعداء، وهو أن تضرب على الحق، وتضطهد فى عقيدة، وتهان فى سبيل الدعوة، وأن هذه اللذة، لا تعدلها لذة القوة والظفر، ورأيت أن نفسى تتمنى أن تسعد بهذه اللذة، وبهذه الكرامة ولو مرة فى العمر .

وقرأت قصة الهجرة النبوية، قصة لا أعرف أنى قرأت قصة أكثر تأثيراً؛ وأجمل تصويراً، من هذه القصة، التى يحكيها المؤلف فى صدق وبساطة، يدخل رسول اللهﷺ المدينة، وقد تعلقت به القلوب، وطمحت إليه الأبصار، وتتقدم قبيلة قبيلة، وتقوم فى صدق وإخلاص : يا رسول الله، هلمّ إلينا، إلى العدد، والعدة، والمنّة، فيقول ـ فداه أبى وأمى : «خلوا سبيلها [1] فإنها مأمورة» ثم تبرك على باب مسجده اليوم، وتأبى أن تقوم، ويأبى الله أن يكون هذا الشرف؛ الذى ليس فوقه شرف، إلا لأبى أيوب الأنصارى، فيحمل أبو أيوب رحله، فيضعه فى بيته، وأقرأ سرور أبى أيوب بهذه الكرامة؛ التى ساقها الله إليه، وإخلاصه فى ضيافته، أقرأ كل هذا، وأجد قلبى قد فارقنى، ورافق ناقة رسول الله ﷺ فيدخل فى ركابه المدينة، وأجد منى كأنى أشاهد كل ذلك بعينى .

وأجد ما قرأت أو سمعت من دخول الملوك، والفاتحين، والعظماء، والأغنياء، قد تضاءل واضْمحلَّ، وأنَّ كل ما عرفته من حب وإخلاص، من رجل لرجل، قد ذاب وغاب، وارتسم هذا المنظر فى نفسى، فى ذاكرتى .

وقرأت قصة أُحُد، قصة لم يعرف التاريخ أعظم منها، وأغرب منها، وأجمل منها فى الوفاء، والإخلاص، والبطولة، والإيمان، واليقين، والخلق الكريم، وقد هزنى قول أنس بن النضر ﷺ للذين جلسوا، وألقوا بأيديهم، وقالوا : قُتِل رسول الله ﷺ قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ موتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، وقول

(١) أى : سبيل الناقة التى كان يركبها رسول الله ﷺ عندما دخل المدينة، فبركت الناقة أمام بيت أبى أيوب الأنصارى، ويدعى خالد بن زيد، وكان له شرف ضيافة رسول الله ﷺ .

القائل : إنى لأجد ريح الجنة من دون أُحُد، والذى كانت أمنيته الأخيرة أن يصل بين قدمى رسول الله ﷺ وهو فى آخر عهده بالدنيا، فحملوه إليه، وهو يجود بنفسه، ولفظَ نَفَسَه الأخير بين قدمى رسول الله ﷺ، وكيف تَرَّسَ أبو دجانة ﷺ بنفسه دون رسول الله ﷺ يقع النبل فى ظهره، وهو منحنٍ عليه، إلى غير ذلك من أحاديث الحب، والتفانى، أتابع قراءتى لهذا الكتاب، وقد يغلبنى البكاء فأبكى، وقد يملكنى السرور والطرب فأطرب [1] .

٦ ـ حرص الأمهات على آثار الرسول ﷺ ليكون بركة على أطفالهم :

روى مسلم عن أنس ﷺ قال : كان النبى ﷺ يدخل بيت أم سليم، فينام على فراشها [2] وليست فيه، قال : فجاء ذات يوم، فنام فى فراشها، فأتت فقيل لها : هذا النبى ﷺ نام فى بيتك على فراشك، قال : فجاءت وقد عرق، واستنقع عرقه ﷺ على قطعة أديم على الفراش، ففتحت أم سليم عتيدتها ـ وهو كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيها ما يعزّ عليها من متاعها ـ فجعلت تنشف ذلك العرق، فتعصره فى قواريرها، ففزع ـ أى : استيقظ من نومه ﷺ ـ فقال : « ما تصنعين يا أم سليم» ؟ فقالت : يا رسول الله، نرجو بركته لصبياننا، فقال : « أصبت» .

بهذه الروح الطيبة، وبهذا الحب السامى لرسول الله ﷺ وهذا التعلق الشديد به، وهذا الحرص الصادق تتسارع الأم العاقلة؛ لتفيد صغيرها بآثار الرسول ﷺ وهذا تقرير أيضا منه بقوله : «أصبت»، فيقرّها على عملها .

وعن أم مالك الأنصارية [3] ـ رضى الله عنها ـ كانت تُهدى النبى ﷺ من عكّةٍ لها سمناً، فيأتيها بنوها، فيسألونها الأدُم، وفى رواية : فيسألون سمنًا، وليس عندهم

---

(١) صدرت للداعية أبى الحسن الندوى سلسلة (قصص النبيين للأطفال) وكتاب : فى السيرة النبوية، فانظرها فإنها مفيدة .

(٢) وكانت محرماً له ﷺ، وهى خالته من الرضاع .

(٣) أنقل هذه الأحاديث وما بعدها من كتاب (سيدنا رسول الله ﷺ) للشيخ عبد الله سراج ـ حفظه الله ورعاه . (ص٣٧٢) وما بعدها .

شيء، فتعمد (أى : تقصد) إلى الظرف الذى كانت تُهدى فيه، فتجد فيه سمنًا، فما زال يقيم لها أدمُ بيتها حتى عَصَرَتْه (أى : عصرت الظرف فنفد السمن) فأتت النبىﷺ (أى ذكرت له ذلك) فقال ﷺ : «عصرتيها؟» قالت : نعم، فقال ﷺ : « لو تركتيها ما زال قائماً» (أى : مازال السمن فيها) . رواه مسلم عن جابر ﷺ .

فهذا الحديث يعلم الأمهات والآباء على عدم النظر فى الباقى، وبقاء التوكل على الله تعالى، كما يفيدنا على حرص الأمهات الصحابيات على إيصال بركات الرسول ﷺ لأولادهن .

ومن بركاته ﷺ على الأطفال : ما رواه البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : ضمّنى رسول الله ﷺ إلى صدره وقال : « اللهم علِّمه الكتاب» .

فحصل لابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ بتلك الضمة المباركة، والتقاء صدره بصدر الحبيب المصطفى ﷺ، ومقابلة قلبه بقلبه، انتقال الفيوضات النورانية إلى قلب ابن عباس، ثم بدعائه ﷺ له، ودعاؤه ﷺ لا يتخلف، ومستجاب عند الله، حتى غدا ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ حَبْر الأمة وترجمان القرآن .

وفى رواية أحمد عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : مسح النبى ﷺ رأسى، ودعا لى بالحكمة .

٧ ـ ومن بركاته ﷺ الصحية على الأطفال :

ما رواه البخارى عن السائب بن يزيد ﷺ قال : ذهبت بى خالتى إلى رسول اللهﷺ فقالت : يا رسول الله، إن ابن أختى وجع، فمسح رسول الله ﷺ على رأسى ودعا لى بالبركة، وتوضأ، فشربت من وضوئه ﷺ .

وتستمر هذه البركة إلى مرحلة الشيخوخة :

فعن عطاء مولى السائب بن يزيد قال : رأيتُ مولاى السائب بن يزيد لحيته

بيضاء، ورأسه أسود! فقلت : يا مولاى، ما لرأسكَ لا يبيضُّ ؟! فقال له : لا يبيض رأسى أبداً [1]، وذلك أن رسول الله ﷺ مضى (أى : مرَّ) وأنا غلام ألعب مع الغلمان، فسلّم وأنا فيهم، فرددتُ عليه السلام، فدعانى، فقال لى : «ما اسمُك؟» فقلت : السائب بن يزيد ابن أخت النَّمر . فوضع يده ﷺ على رأسى، وقال : «بارك الله فيك» قال السائب : فلا يبيضَّ موضع يد رسول الله ﷺ أبداً . رواه الطبرانى فى الثلاثة، وقال الهيثمى فى المجمع : ورجال الصغير والأوسط ثقات .

وروى الطبرانى عن محمد بن حاطب قال : لما قدمتْ بى أمى من أرض الحبشة حيث مات أبى حاطب، فجاءت أمى إلى النبى ﷺ وقد أصاب إحدى يدى حريق من نار، فقالت : يا رسول الله، هذا محمد بن حاطب ابن أخيك، وقد أصابه هذا الحريق من النار .

قال محمد بن حاطب : فلا أكذب على رسول الله ﷺ فلا أدرى أَنَفَثَ أم مسح على رأسى، ودعا لى بالبركة وفى ذريتى . كما فى مجمع الزوائد .

قال فى الإصابة بعد نقله صدرَ هذا الحديث : ورواه أيضا عبد الرحمن بن عثمان ابن محمد الحاطبى عن أبيه عن جده، أخرجه أحمد وابن أبى خيثمة والبغوى وفيه : أن أمه قالت : يا رسول الله، هذا محمد بن حاطب وهو أول من سُمى بك ـ أى : فى الحبشة ـ قالت : فمسح رسول الله ﷺ على رأسك، وتفل فى فيك، ودعا لك بالبركة.

وروى إسحاق بن إبراهيم الرملى فى فوائده عن بشير بن عقربة الجهنى أن أباه أتى به إلى النبى ﷺ، فقال النبى ﷺ : «مَنْ هذا معك ياعقربَة؟!» فقال : ابنى بحير، فقال ﷺ : «ادنُ» فدنوتُ حتى قعدت على يمينه، فمسح ﷺ على رأسى بيده، فقال : «ما اسمك؟» قلت : بحير يا رسول الله! فقال ﷺ : «لا، ولكن اسمك بشير» وكانت فى لسانى عقدة، فنفث النبى ﷺ فى فانحلتْ العقدة من لسانى، وابيضَّ كل شىء

(١) انظر إلى قوة اليقين، والإيمان ببركات الرسول ﷺ، ألا يا ليت قومى يعلمون !

فى رأسى ـ أى : بعد كبر سنه ـ ما خلا ما وضع ﷺ يده عليه، فكان أسود، كما فى «الإصابة» .

٨ ـ استمرار بركات الرسول ﷺ على الأطفال حتى بعد وفاته :

فعن حنظلة بن حِذْيم قال : وفدتُ مع جدى حِذْيم إلى رسول الله ﷺ فأدنانى رسول الله ﷺ ومسح رأسى، وقال : «بارك الله فيك» . قال الراوى عن حنظلة : فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهُه، أو الشاةِ الوارمِ ضرعها فيقول : باسم الله، على موضع كفّ رسول الله ﷺ فيمسحه، ثم يمسح الوارم فيذهب الورم» قال فى مجمع الزوائد : رواه الطبرانى فى الأوسط وأحمد ورجاله ثقات أ .هـ، وقال الزرقانى : ورواه البخارى فى تاريخه وأبو يعلى وغيرهم .

وعن عبد الله بن هلال الأنصارى ﷺ قال : ذهب بى أبى إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله، أُدع الله له، قال عبد الله : فما أنسى وَضْع رسول الله ﷺ يده على رأسى، حتى وجدتُ بَرْدها، فدعا لى، وبارك على .

قال الراوى عنه : فرأيتُ عبد الله بن هلال يصوم النهار؛ ويقوم الليل، وقد كبرت سنُّه . (أى : بقيت فيه قوة الشباب، وعزيمتهم) . رواه الطبرانى، وإسناده حسن .

وفى مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود ﷺ أنه قال : قلت : يا رسول الله، علمنى من هذا القول، قال : فمسح رسول الله ﷺ رأسى، وقال : «يرحمك الله فإنك غُليِّم مُعلَّمٌ» .

وعن عبد الله بن بُسر ﷺ قال : وضع رسول الله ﷺ تسليماً يده على رأسى، وقال : «يعيش هذا الغلام قرناً» . فعاش مائة سنة، وكان فى وجهه ثُؤْلول، فقال ﷺ : «لا يموت حتى يذهب الثؤْلول من وجهه» . قال الراوى : فلم يمت حتى ذهب الثؤلول من وجهه . قال الحافظ الهيثمى : رواه الطبرانى، والبزار باختصار الثؤلول، ورجال أحد إسنادى البزار رجال الصحيح، غير الحسن بن أيوب

الحضرمى وهو ثقة . أ. هـ .

وفى حجة الوداع : عندما حلق رسول الله ﷺ شعره الشريف، واحتفظ كل صحابى رضوان الله عليهم بشعرة، أو شعرتين، أو أكثر، وتوارثت الأمة شعره الشريف، وإلى عصرنا الحاضر، يخرجها أصحابها فى المناسبات الدينية أو غيرها، وكان من فضل الله تعالى على كاتب هذه السطور أن قبَّلها وهو صغير، تقبيل العاشق المحب، فكان يهتز طرباً كلما قَبَّلها، ويشعر بالفرحة الكبرى، والقشعريرة الشديدة فى جسده . فلعلَّ هذا الكتاب من بركات تلك القُبل ـ ولله الحمد والفضل والمنة .

وفى الصحيحين وغيرهما عن أنس ﷺ أن النبى ﷺ أتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق : «خُذ»، وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل النبى ﷺ يعطيه ـ أى : يعطى شعره ـ الناس .

وذلك للتبرك به ـ كما قال الحافظ الزرقانى ـ واستشفاعًا إلى الله تعالى بما هو منه ﷺ، وتقرّباً بذلك إليه . أهـ .

وقال الإمام النووى : وفيه التبرك بشعر النبى ﷺ وجواز اقتنائه .أهـ .

وهكذا سارت الأمة تتوارث شعره الشريف من جيل إلى جيل :

فقد روى البخارى عن محمد بن سيرين قال : قلتُ لعَبيدة السلمانى : عندنا مِنْ شعر النبى ﷺ أصبناه (أى حصل لنا) مِن قِبل أنس ﷺ أو من قِبَلَ أهل أنس، فقال عَبيدة : لأَن تكون عندى شعرة منه، أحبُّ إلىَّ من الدنيا وما فيها، وفى رواية الإسماعيلى : أحبُّ إلىَّ من كل صفراء وبيضاء . يعنى : الذهب والفضة [1] .

فهل نقتدى بالسلف الصالح هؤلاء، فنحب رسول الله ﷺ وكل شىء يتعلق به، وصدر منه، مثلما يحبون؟! اللهم اجعلنا كذلك .

(١) انظر : بتوسع كتاب : (سيدنا محمد رسول الله) تأليف الشيخ عبد الله سراج الدين .

ومن حب العلماء الصالحين : توريث الحب للرسول ﷺ لتلاميذهم، فينشؤون نشأة صحيحة، ويعرفون مقام الرسول ﷺ السامى الرفيع عند الله، هذا المقام الذى هو فى ازدياد وارتفاع لكثرة المصلين عليه من أمته، ومن هذا المنطلق ذهب الإمام الحاكم النيسابورى إلى المدينة المنورة، وهو ابن ثمان عشرة جلس أمام قبر النبى ﷺ يؤلف كتابا، حيث جمع من كتاب البخارى فى التاريخ أسماء الرواة المجروحين، فبلغت مائه وستة وعشرين رجلاً من أصل أربعين ألفا وفيه قال التاج السبكى : أنه لم يسبق إليه، ومن ألف بعده فى التاريخ أو الأسماء أو الكنى فعيال عليه [1].

٩ ـ أطفال الصحابة يتَمسَّحُون بقَدَم رسول الله ﷺ حبًا وتبركًا :

فمن ذلك تبرُّك عمرو بن أبى عمرو المزنى بقَدَم النبى ﷺ . قال فى «الإصابة» : أخرج حديثه النسائى والبغوى وابن السكن وابن منده بعلوٍّ من طريق هلال بن عامر عن رافع بن عمرو المزنى، قال :

إنى لفى حجة الوداع خماسٍ أو سداسٍ، فأخذ أبى بيدى، حتى انتهينا إلى النبىﷺ بمنى يوم النحر، فرأيته ﷺ يخطب على بغلة شهباء، فقلت لأبى : مَنْ هذا؟ فقال : هذا رسول الله ﷺ قال : فدنوتُ حتى أخذتُ بساقه، ثم مسحتُها حتى أدخلتُ كفى فيما بين أخمص قدمه والنعل، فكأنى أجدُ بَرْدها على كفى .

هكذا يكون شأن المحب للحبيب، وهكذا يكون التفاعل الإيمانى .

١٠ ـ تبرك الغلمان بسؤر الرسول ﷺ :

روى الشيخان عن سهل بن سعد ﷺ قال: أتى النبى ﷺ بشراب فشرب، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ، فقال النبى ﷺ للغلام: «أتأذنُ لى أن أُعطى هؤلاء؟» فقال الغلام: والله، يا رسول الله، لا أُوثِرُ بنصيبى منك أحداً، فتلّهُ (أى:

(١) انظر : الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمحمد بن جعفر الكتانى ـ رحمه الله (ص٩٦) .

ألقاه) رسول الله ﷺ فى يده، أى: فشرب الغلام، وهو عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما .

وروى الإمام أحمد وغيره عن أنس ﷺ أن النبى ﷺ دخل على أُمّ سُليم، وفى البيت قِرْبةٌ معلَّقةٌ، فشرب مِنْ فيها ـ أى : من فم القربة ـ وهو قائم، قال أنس : فقطعتُ أم سُلَيم فمِ القرْبة، فهو عندنا .

هكذا يفتخر الطفل أنس، فيقول : هو عندنا .

١١ ـ تبرك أطفال الصحابة بشرب دم حجامة النبى ﷺ :

أخرج الطبرانى والبزار[1] والحاكم والبيهقى وأبو نعيم فى « الحلية» من حديث عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبد الله بن الزبير قال : احتجم رسول الله ﷺ فأعطانى الدم بعد فراغه من الحجامة، وقال : «اذهب ياعبد الله فغيّبْه»، وفى رواية : «اذهب بهذا الدم فوارِهِ حيث لا يراه الناس» . قال عبد الله : فذهبتُ به فشربته، ثم أتيته ﷺ فقال : «ما صنعتَ؟ قلتُ : غَيبْتُه، قال : «لعلكَ شربتَه؟» قال : نعم، قال : «ويل لك من الناس، وويلٌ للناس منك» . وفى رواية : فقال رسول الله ﷺ : «فما حملكَ على ذاك؟» فقال : «علمتُ أن دَمَك لا تُصيبه نارُ جهنم، فشربته لذلك، فقال ﷺ : «ويل لك من الناس، وويل للناس منك» .

وروى الدارقطنى فى « سننه» عن أسماء قالت : احتجم ﷺ، فدفع دمه لابنى عبد الله، فشربه، فأتاه جبريلُ، فأخبرَ النبى ﷺ، فقال ﷺ : «ما صنعتَ؟» قال : كرهتُ أن أصبَّ دمكَ، فقال ﷺ : «لا تمسُّه النار» ومسح على رأسه، وقال : «ويل للناس منك، وويل لك من الناس» .

قال العلامة القَسْطَّلانى وفى كتاب : «الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون» : أن ابن الزبير لما شرب دم حجامة النبى ﷺ تضوَّع ـ أى : فاح ـ فمه

(١) انظر : مجمع الزوائد (٨/ ٢٧٠) .

مسكاً، وبقيت رائحته موجودة فى فمه، إلى أن قتل ﷺ وقد مرَّ معنا فى تحنيك المولود، وتسميته : أن عبد الله بن الزبير أول مولود ولد فى المدينة المنورة للمهاجرين، وحنكه رسول الله ﷺ بتمرة، وكان أول شىء يدخل إلى جوفه : ريق النبى ﷺ .

١٢ ـ تبرك أطفال الصحابة بنعلى رسول الله ﷺ :

روى البخارى والترمذى فى «الشمائل» عن عيسى بن طهمان قال : أخرج إلينا أنس بن مالك نعلين جَرْداوين ـ أى : صقيلين لا شعر عليهما ـ هما قِبالان ـ تثنية قِبال، وهو زمام النعل ـ قال ابن طهمان : فحدثنى ثابت البنانى (وهو تلميذ أنس المقرب منه) بعدُ عن أنس أنهما كانتا نَعْلى رسول الله ﷺ .

هكذا اعتقاد الصحابة، رضوان الله عليهم، يحتفظون بآثار رسول الله ﷺ لا يفرقون بين بركة رسول الله ﷺ حياً وميتاً، فالبركات مستمرة؛ لأنها هبة من الله تعالى لرسوله ﷺ ولأمته .

١٣ ـ تبرك التابعين بأيدى أطفال الصحابة؛ لأنها مست يد النبى ﷺ :

روى الإمام أحمد عن ثابت البنُانى أنه قال لأنس بن مالك ﷺ : يا أنس، مَسَسْتَ يدَ رسول الله ﷺ بيدك؟ فقال أنس : نعم، قال ثابت : أرنى أقبّلها .

هكذا يفعل الحب الحقيقى المتغلغل فى أعماق القلوب والنفوس، وهكذا الهوى بالمحبوب الحقيقى ﷺ .

١٤ـ تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم كبيرهم وصغيرهم للرسول الله ﷺ :

ونختم هذه الفقرة لنتعرف على تعظيم الرسول ﷺ فى نفوس أصحابه، ومكانته العالية فى قلوبهم، ومقامه السامى فى أفئدتهم، كيف لا؟ وقد قال الله تعالى له : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝﴾ [الشرح] .

جاء فى الصحيحين ـ واللفظ للبخارى ـ من حديث صلح الحديبية قال :

ثم إن عروة بن مسعود ـ الذى جاء وقتئذ وسيطا عن المشركين فى مكة ـ جعل يرمُق النبى ﷺ بعينيه، قال : فوالله ما تنخَّم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم ـ أى من الصحابة ـ فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ـ رسول الله ﷺ ـ بأمر ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون النظر إليه تعظيمًا له ﷺ .

فرجع عروة بن مسعود إلى أصحابه ـ فى مكة ـ فقال : أى قوم، والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدتُ على قيصر وكسرى والنجاشى، والله إن رأيت ـ أى : ما رأيت ـ مَلِكاً قطُّ يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحابُ محمدٍ محمداً !

والله : إن تنخَّم ـ أى : ما تنخم ـ نخامةً إلا وقعت فى كف رجل منهم، فدلك بها وجهه، وجلده!

وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده! وما يحدّون النظر إليه تعظيما له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشدٍ فاقبلوها ... الحديث .

وهذا الصحابى الصغير أنس بن مالك يحدثنا عن أبيه من أمه، كيف يفدى بنفسه حتى لا يصل سهم إلى رسول الله ﷺ يوم أحد :

فى «المسند» عن أنس ﷺ أن أبا طلحة كان يرمى بين يدى النبى ﷺ يوم أحد، والنبى ﷺ خلفه يترَّسُ به، وكان راميا، وكان إذا رمى رفع ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه، يرفع أبو طلحة صدره ويقول : هكذا بأمى أنت وأبى يا رسول الله! لا يصيبك سهم، نحرى دون نحرك! وكان أبو طلحة يسوق نفسه أى : يجعل من بين رسول الله ﷺ ويقول : إنى جَلدٌ ـ أى : شديد ـ يا رسول الله! فوجهنى فى حوائجك،

ومُرْنى بما شئت .

وكذلك يحدثنا الصحابى الصغير أنس بن مالك عن حالة الأنصار بعد فتح مكة، وخاصة عندما رأوا رسول الله ﷺ يعطى قريشاً الأموال يؤلف بها قلوبهم :

روى الشيخان عن أنس ﷺ أن ناسًا من الأنصار قالوا حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء ـ من الغنائم ـ فطفِق رسول الله ﷺ وهو بالجِعْرَانة، يعطى رجالا من قريش المئة من الإبل، فقالوا (أى : الأنصار بعضهم لبعض) : يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطى قريشًا ويدَعُنا؛ وسيوفنا تقطر من دمائهم؟! أى : تقطر من دماء كفار قريش بمحاربتنا إياهم حتى يدخلوا فى الإسلام .

فحُدِّثَ رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأرسل رسول الله ﷺ إلى الأنصار فجمعهم فى قبة من أدمَ ـ أى : من جلد ـ ولم يدْعُ معهم أحداً غيرهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال : «ما حديثٌ بلغنى عنكم؟» فقال فقهاؤهم : أمّا ذوو رأينا يارسول الله، فلم يقولوا شيئاً، وأما ناس منا حديثةٌ أسنانهم [1]، قالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطى قريشًا ويدع الأنصار، وسيوفنا تقطر من دمائهم؟! فقال رسول الله ﷺ : « إنى أعطى رجالاً حديثى عهد بكفر، أتألَّفهم، أما ترضَوْن أن يذهب الناس بالأموال، وترجعون إلى رحالكم ـ أى : منازلكم فى المدينة ـ برسول الله ﷺ؟!، فو الله لَمَا تنقلبون به ـ أى : ترجعون به ـ خير مما ينقلبون به!» قالوا : يا رسول الله، قد رضينا، فقال لهم النبى ﷺ : «فستجدون أَثَرةً شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإنى على الحوض» .

---

(١) نلاحظ هنا خطأ الصغار مع رسول الله ﷺ، فحول الرسول الله ﷺ ذلك الخطأ إلى فضل ورحمة، ودعا لهم، ولذريتهم، بل ويجعل نفسه هدية للأنصار لصدق محبتهم له، وقوة بأسهم فى الدفاع عن الإسلام ورسول الإسلام .

وفى رواية مسند أحمد : أن النبى ﷺ قال : «يا معشر الأنصار، ألَمْ آتكم ضُلالاً فهداكم الله؟! وعالةً فأغناكم الله؟! وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟!» قالوا : بلى يا رسول الله، ثم قال رسول الله ﷺ : «ألا تجيبوننى يا معشر الأنصار؟» قالوا : وما نقول يارسول الله؟! وماذا نُجيبك؟ ولله ولرسوله المَنُّ قال ﷺ : «والله لو شئتم لقلتم، فلصَدَقتم وصَدِّقتُكم :

ـ جئتنا طريداً فآويناك .

ـ وعائلاً فأغنيناك .

ـ وخائفاً فأمنّاك» .

فقال رسول الله ﷺ : « أوَجدتم فى نفوسكم يا معشر الأنصار فى لُعاعة (أى الشىء اليسير) من الدينا تألّفت بها قوماً أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام .

أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم!! فو الذى نفسى بيده؛ لو أن الناس سلكوا شِعبًا، وسلكت الأنصار شعبًا، لسلكتُ شعب الأنصار . ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار .

اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»، قال : فبكى القوم حتى أخْضلوا لحاهم ـ من الدموع ـ وقالوا : رضينا بالله رباً، ورسوله قَسْماً . ثم انصرف، وتفرَّقوا .

هكذا كان تفاعل صغار الصحابة وكبارهم مع رسول الله ﷺ، وهكذا وَرّثوه أبناءهم وأطفالهم، وهكذا أنشؤوا المدارس على هذا الأساس .

١٥ـ أطفال الصحابة يحفظون أوصافه الشريفة ﷺ :

عن صالح بن مسعود التابعى، قال : قلت لأبى جحيفة ﷺ وهو من صغار الصحابة، كان مراهقاً لما توفى النبى ﷺ، وهو من عُمْر ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ حدثنى عن رسول الله ﷺ قال : كان رجلاً أبيض، قد شَمِطَ عارضاه . رواه البخارى والترمذى وأبو يعلى فى مسنده بسند صحيح (٢/ ١٨٣) .

وهذا أبو جحيفة ﷺ من أطفال الصحابة يصف النبى ﷺ فيقول : رأيت رسول الله ﷺ وهذه منه بيضاء ـ يعنى : عنْفَقَتَهُ ـ فقيل له : مثلُ من أنت يومئذ؟ قال: أبرى البنل، وأريشها . رواه أبو يعلى فى مسنده (٢/ ١٩٤) بسند صحيح، ورواه أحمد ومسلم والبخارى . والعنفقة : الشعر الذى بين الشفة السفلى وبين الذقن، وقوله : أبرى النبل وأريشها؛ أى : أجعل للنبل ريشًا .

وقال أبو جُحيفة ﷺ : «خرج رسول الله ﷺ، فكأنى أنظر إلى وبيص ساقيه» . رواه البخارى .

وقال أنس ﷺ : «انحسر الإزارُ عن فخذ رسول الله ﷺ وهو راكب فى غزوة خيبر، فإنى لأرى بياضَ فخذ رسول الله ﷺ» . رواه ابن أبى خيثمة .

وقال أنس أيضاً : «كان رسول الله ﷺ ضَخْم القدمين» . رواه الشيخان .

وروى القاضى أبو الفضل عياض بسنده المتصل إلى الحسن بن على رضى الله عنهما قال[1] : سألت خالى هند بن أبى هالة عن حلية رسول الله ﷺ وكان وصّافاً، وأنا

---

(١) فى كتابه : الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص١٥٢) فصل : «قد أتيناك» . شرح الشمنى (ت٨٧٢) وقال الشهابى فى حاشيته (٢/ ١٦٤) : رواه الترمذى فى شمائله.وأخرجه ابن سعد والبيهقى والطبرانى . ورواه البغوى فى شرح السنة، وهند بن أبى هالة ابن خديجة بنت خويلد ولدته قبل زواجها من النبى ﷺ، وتربى فى بيت النبوة . انظر شرح السنة (٧/ ٥٤) . ولكونه وصافاً لديه دقة فى الوصف ـ سألاه .

أرجو أن يصف لى منها شيئاً أتعلق به قال :

«كانَ رسول الله ﷺ فَخْماً مُفَخَّماً [١]، يتَلأْلأُ وَجْهُهُ [٢] تَلأْلُؤ القَمَرِ ليلة البدرِ [٣]، أَطْوَلَ منَ المَرْبُوعِ [٤]، وأقصَرَ من المُشَذَّبِ [٥]، عظيمَ الهامَةِ [٦]، رَجِلَ الشَّعَرِ [٧]، إن

---

(١) أورد شرح معانى الحديث من شرح الشهاب الخفاجى على الشفا؛ لأن فيه تفصيلا دقيقاً، يقرب من الذهن حقيقة أو صافهﷺ ، فتشرح للطفل فى كل يوم صفة لكى يتعلق قلبه بها، ويتخيلها فى ذاكرته، وتنطبع فى نفسه، وذلك خير من أن تنطبع صور من لا خلاق لهم فى نفس الطفل، وننزّه هذا الكتاب عن ذكرهم .

فما أحلى أن نتعرف إلى أوصاف رسول الله ﷺ وخاصة وقد سمعنا الحسن بن على ـ رضى الله عنهما ـ وهو يقول: «وأنا أرجو أن يصف لى منها شيئاً أتعلق به، فكان من شدة حبه أن يتعرف لتلك الأوصاف النبوية ليتعلق قلبه، وفكره، وسلوكه بها .

فما أحلى، وما أبهى أن نسير على ذلك كبارًا وصغارًا، رجالاً ونساءً، وها هى المعانى لتلك الأوصاف النبوية الشريفة .

قال : كان رسول الله ﷺ فَخْماً مُفخّما بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة، والمُفَخَّم بوزن المكرم، والفخم بمعنى العظيم، وأصل الفخامة : العظمة فى الأجسام، ثم شاعت فى المقدار والشرف؛ فإن كان المرادُ الأولُ وهو الظاهر؛ فالمعنى : أن أعضاءه ﷺ تامةُ الخلقة، واسعةٌ سِعة غير مُفْرِطة كما تقدم فى الباب الثانى أنه كان واسع الصدر، وعينُه نجلاء أى: واسعة الشق، ووجهُه الشريف ممتلئ باللحم ، وأن قامته الشريفة غير قصيرة، والمراد بكونه مُفخماً أنه كذلك فى العيون الناظرة إليه، ويحتمل أن يراد بكونه فخماً هذا المعنى، وأن يراد بكونه مُفخماً أن له ﷺ مهابة فى العيون، والصدور؛ مع الجلال .

(٢)يتلأْلأُ وجْهُهُ: أى يضيء ويشرق، وهو مأخوذ من اللؤلؤ؛ لصفائه ولمعانه .

(٣) تلأْلُؤَ القَمَر ليلَة البدْرِ: أى فيه نورٌ، كنور القمر فى ليلة البدر .

(٤) وأطولَ من المَرْبُوع وهو الذى بين الطولِ والقِصَر، كالرَّبْعَةِ، وقال التلمسانى : المرادُ به هنا القصيرُ الذى تحتَ الرّبعة؛ لئلا يناقضَ ما وردَ مِنْ وَصْفِهِ ﷺ بأنه رَبْعَةٌ، وأصلُ المَرْبوع الحبل المفتولُ على أربع طاقات، فاستعير لما ذكر انتهى .

أقولُ : لا حاجةَ لما ذكرَ لصرفه عن ظاهره، لأن المرادَ أنه يزيد على الربعة زيادة يسيرة، لا تُخرجه عن كونه رَبعة، فهذا أمر تحقيقى، وربعة أمر تقريبى؛ فلا منافاةَ بينهما، ولذا قال :

(٥)وأقصَرَ من المُشَذَّب: بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين المشددة والباء الموحدة : وهو المفرط فى الطول، كالبائن، وهو مستعار من النخلة المشذبة، وهى : التى قُطِعَ بعضُ جريدها، والتشذيب : قطع كالتقليم .

(٦)عظيمَ الهامَةِ بالهاء وتخفيف الميم : وهى الرأس، وليس المراد أنها مفرطة فى الكِبَر، بل كبيرةٌ كِبَراً نِسْبياً لأن صِغرها وإفراط كِبَرها غيرُ ممدوح؛ لدلالته على قِلةِ العقل، وقيل : الهامةُ وسط الرأس، وقيل : مخه، ولها معان أُخَرى، غير مناسبة هنا .

(٧) رَجِلَ الشَّعر بكسر الجيم على وزن حَذِر، والشَّعَر معروف، ويجوز فتح عينه وسكونها، كما مر، والمراد : أن فيه تجعّداً قليلاً وهو من صفاته الممدوحة فيه، ويقال لضده : قَطَط، وهو الشديد الجعودة، والسبط : المسترسل .

انْفَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ فَرَقَ[1] ، وإلا فلا يُجاوزُ شَعرُهُ شَحْمَةَ أُذُنه[2] ، إذا هوَ وَفَّرَهُ[3] ، أَزْهَرَ اللونِ[4] وَاسِعَ الجَبِين[5] ، أَزَجَّ الحَوَاجِبِ[6] سَوَابغ،[7] ، مِنْ غَيرِ قَرَنٍ[8] ، بينهما[9] ، عِرْق

(١) إن انفَرقت عقيقتُه فرق، انفرق : أى صار شعر رأسه فرقتين، والعقيقة : الشعرُ الذى على رأس المولود، الذى يخرج عليه حين يولد، من عَقَّ إذا قَطَع، لأنه يحلق فى اليوم السابع، فسمى به شعر النبى ﷺ على طريق المجاز المرسل، لاستعمال المقيد فى المطلق، وليس استعارة تحقيقية كما قيل، ومعنى فرق : أبقاه منفرقًا على حاله إذا انفرق بنفسه، يقال : فرقه فانفرق، والفرق والمفرق : البياض الواقع بين شعر الرأس، وفى رواية عقيصته بالصاد المهملة بدل عقيقته .

(٢) وإلا فلا يُجاوزُ شعرهُ شَحْمَة أذنه، وفي رواية: أُذنيه بالتثنية، وهما بمعنى، كما يقال :نظرتُ بعيني إذا نظر بعينه، وهكذا في كل عضو كان كذلك كما هو مقرر فى العربية، وشحم الأذن: ما لان منها، حيث يُعلق القِرْط، وتقدم فى هذا الحديث : ما رأيت من ذى لمة فى حُلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ، وإن اللمة الشعر الذى يجاوز شحمة الأذن، فإذا وفر شعره صار لمة، أى : ما يَلَمّ بالمنكبين، واللمة دون الجمة، والوفرة دون اللمة، والجمة أكثر من الوفرة، وهى ما سقطت على المنكبين، فالوفرة أبلغ منها اللمة، والجمة أبلغ منهما، وفيه كلام تقدم . والفَرق سنة بخلاف السَّدل من قُدّام أو خلف، ومعنى قوله : وإلا وإن لم يفرق، فعلم منه إذا فرق جاوز الشحمة،ووصل المنكب، وأحواله مختلفة في الطول، ولذا قيل له: لمة وجمة .

(٣) إذا هو وفره وفى بعض النسخ: وفر، بدون ضمير، والمعروف رواية الأول كما قال المزى، وفاؤه مخففة. ومشددة أى كثره، وقد نقل بعد الخلق غيره كما عرفته، وهذا أولى من حمل اختلاف الروايات على التقريب.

(٤) أزهر اللون سيأتى معنى الأزهر، وأن معناه: أبيض مشرب بحمرة، وقد ورد أنه ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم، وبهذا علم ما روى أنه كان أسمر، ولعله رآه عقيب سفر ونحوه، أو لم يحققه لأنه لمهابته ﷺ لا يحدق النظر فى وجهه، وفى رواية أنه كان أبيض شديد الوضاح، والمراد بالوضوح البياض، وقد يطلق على البرص، ولذا سمى جذيمة الأبرص الوضاح، ويؤيده أنه ورد أنه ﷺ كان عنقه كور فضة، ويأتى: كان ساقه خمارة، وكشف ظهره، فكأنه سبيكة فضة، وقيل: إن سمرته: حمرته، ولذا قيل فى المجمع بين الروايات: أنه كان يميل إلى السمرة أو البياض لونه، وهذا عرض له بعد ذلك لكثرة أسفاره.

(٥) واسع الجبين: فى القاموس: الجبينان: حرفا الجبهة وجانباها عند الصدغين وبعد الحاجبين والجبهة وسطه، أو هو جميع ما بين الصدغين، فتدخل فيه الجبهة إلى قصاص الشعر.

(٦) أزج الحواجب أزج: أفعل، كأحمر، والزج: تقوس فى الحواجب مع طول فى طرفه وامتداد بدقة فى طرفيه، وأراد بالحواجب الحاجبين، وجمع لأن أقل الجمع اثنان، أو لإطلاقه على أجزائه، وهما العظمان فوق العينين بلحمهما وشعرهما، ويطلق على الشعر، سمى به لأنه يحجب الشمس وغيرها عن العين.

(٧) سوابغ بالسين ـ والصاد: جمع سابغ؛ لأنه لما لا يعقل، وقيل: جمع سابغة : واقية، أى طوال كاملة.

(٨) من غير قرن بفتحتين أى: من غير اقتران واتصال؛ لأنه غير ممدوح عند العرب، وما وقع فى حديث أم معبد من وصف حاجبيه ﷺ بالقرن، فيحتمل أنه كان بينهما شعر دقيق جدا إذا سافر، وعلاه غبار السفر: ظن قرنا، وما قيل: إنه بطريق الرأى، أو إنه لاختلاف الرؤية قربا وبعدا، أو إنه حدث له ﷺ بعد ذلك بعيدًا جدا بل لا وجه له.

(٩) بينهما أى: بين الحاجبين، وهذا يدل على أن الجمع فى الحواجب بمعنى المثنى هنا.

يدّرُّهُ الغَضَبُ[1]، أقْنَى العِرنينِ[2]، له نور يَعْلُوه[3] ويحسْبُهُ مَنْ لم يتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ[4]، كَثَّ اللِّحْيةِ[5] أدعجَ[6]، سَهْلَ الخَدَّينِ[7]، ضَلِيعَ الفَمِ[8]، أشنبَ[9]، مفلجَ

---

(١) عرق يدره الغضب: بضم الياء مضارع الإدرار، من أدر الضرع والسحاب إذا كثر دره وهو لبنه وماؤه فحلب، والمراد أنه يظهر لغليان الدم بالغضب بعدما كان خفيا لا أنه يحدث بعد أن لم يكن، وهذا لا ينافى ما ورد من أنه ﷺ حليم لا يغضب لأنه باعتبار أكثر أحواله ﷺ، وأنه لا يغضب لنفسه، ولا لأجل أمر دنيوى، ولكنه قد يشتد غضبه لله إذا انتهكت حرمه، وفى ضربه للأعداء كما قال الصرصرى رحمه الله:

بجبينه عرق يدر إذا سطا غضبا على الأقران يوم طعان

والغضب: تهييج الحرارة الغريزية فيغلى الدم منها، ولذا يحمر الوجه، وتنفتح العروق.

(٢) أقنى العرنين: القناء فى الأنف: طوله، ودقة أرنبته، أى طرفه مع ارتفاع يسير فى وسطه، والعرنين بكسر العين: الأنف، أو ما صلب منه، أو ما تحت مجمع الحاجبين، وهو أول حيث يكون الشمم، والجمع عرانين، ويكنى به عن الإشراف لشموخ أنفه وارتفاعه على أقرانه، قال:

إن العرانين تلقاها محسدة ولن ترى للئام الناس حسادا

(٣) له نور يعلوه: الضمير له ﷺ، وجوزوا أن يعود للعرنين؛ لأنه وإن كان وجهه كله له نور، ولكنه أول ما يتعلق به سمى أنفًا أيضًا.

(٤) يحسبه ما لم يتأمله أشم: الشمم فى الأنف ارتفاع وسط قصبته مع استواء أعلاه وإشراف أرنبته قليلاً، يعنى: أن وسطه فيه استواء مع أعلاه وأسفله، ولكنه لتلألئه قد يظن أن فيه ارتفاعًا، أو أن فيه ارتفاعًا قليلاً جدًا: لا يعد شممًا، والشمم قد يعبر به عن عزة النفس، وعدم التنزل للأمور، وهو ما يمدح به، كما قال كعب ﷺ.

شم العرانين أبطال ليوسهم من نسج داود فى الهيجا سرابيل

والتأمل: إعادة النظر، وتكراره ليثبت فيه، ويقف على كنهه، وهو فى الأصل تفعل من الأمل والرجاء، لأن الإنسان لا يعيد النظر غالبًا إلا لما فيه أمل. فأطلق على لازمه، وشاع حتى صار حقيقة فيه، وقيل: الشمم: طول الأنف مع سيلانه ودقته، والأول أصح وأشهر.

(٥) كث اللحية: بفتح الكاف وتشديد المثلثة، والكث: كون اللحية كثيرة الشعر من غير طول ولا دقة شعر، وما اشتهر من قوله: «من سعادة المرء خفة لحيته» لم يثبت أنه حديث مع أنه قيل: إنما هو خفة لحييه، مثنى لحى، وإن معناه: كثرة تحريكهم بذكر الله، أو المراد عدم طولها.

(٦) أدعج أى: سواد عينيه شديد مع بياضها، ويقال: رجل أدعج، أى: أسود، وليس بمراد، وسيأتى فيه كلام.

(٧) سهل الخدين أى: غير مرتفع الوجنة، وكثير اللحم فيهما، فإنه غير محمود، وقيل: المراد أنه طلق منبسط.

(٨) ضليع الفم: بضاد مفتوحة معجمة. أى: طويل انشقاق الفم واسعة، وهو مما تمدح به ويعاب ضده لدلالته على الفصاحة، وليس المراد به عظم الأسنان وتراصها، كما قاله التلمسانى، وشعراء المولدين يمدحون صغر الفم، وهو خطأ منهم، أو لمعنى آخر لا يلتفت إليه كما مر.

(٩) أشنب بنون بين شين معجمة وباء موحدة أى: ذو شنب، وهو كما فى «النهاية» بياض، وبريق، وصفاء، وتحديد فى الأسنان، وقيل: هو رونقها وماؤها، وقيل: برد وعذوبة فيها، وقيل: نقط بيض وتحزيز فيها، وسئل رؤبة عن قول ذى الرمة:

لميا فى شفتيها حوت لعس وفى اللثاث وفى أنيابها شنب

فأخذ حبة رمان، وقال: هذا هو الشنب، أى: أن صفاءه وماءه فيها كهذا. ومن أمثال المولدين: فاتك الشنيب لمن أراد التشبه بمن لا يشبهه، قال ابن الوكيل ـ رحمه الله تعالى:

يا بارقا على الرقتين بدا لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

الأَسْنان[1]، دَقيقَ المَسرُبَة[2]، كَأنَّ عُنُقَه جِيدُ دُمْيـة[3]، فى صَـفَاء الفـضّةِ[4]، مُعْتَـدِلَ الخَلْقِ[5]، بادِناً[6]، مُتَماسكاً[7]، سَوَاءَ البَطْنِ والصَّدْرِ[8]، مشِيحَ الصَّدْرِ[9]، بَعيدَ ما بَينَ المَنْكبَين[10]، ضَخْمَ الكَـرَاديس[11]، أَنـوَرَ المُتَجـرَّدِ[12]، مَوْصـولَ مـا بَيْنَ

(١) مفلج الأسنان: تقدم أن الفلج عدم تلاصق الأسنان، وهو أنقى للفم وأطيب، وفى حديث على كرم الله تعالى وجهه: أفلج الثنايا، وهو المراد بالأسنان، أو المراد الثنايا والرباعيات، لأن باعد الأسنان كلها معيب، وقد تقدم كلام فيه، ومفلّج مضموم الميم مشدد اللام، ويشبه به تقارب الدار مع عدم التلاقى، كقوله:

مالى به مع قرب دارى ملتقى فهـل رأيـت ثغـره المفلجـا

(٢) دقيق المسربة ـ بميم مفتوحة وسين مهملة ساكنة وراء مهملة مضمومة وباء موحدة مفتوحة تليها هاء: وهو شعر كالخيط سائل من الصدر إلى السرة، ووصفه بالدقة لأنه غير عريض ولا متكاثف طويل.

(٣) كان عنقه جيد دمية، الجيد: العنق، إلا أن السهيلى قال: إن العنق يستعمل فى غير المدح، والجيد يستعمل فى مقام بخلافه، وأن قوله تعالى: ﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد] تهكم لجعل الحبل عقداً لها، وما هنا على أصل اللغة لا على نهج الاستعمال، فلا اعتراض عليه. والدمية بضم الدال المهملة وسكون الميم وتخفيف المثناة التحتية، وهى الصورة من رخام، أو عاج، والمراد شدة بياضه وطوله، ويؤيده ما روى من أن عنقه ﷺ كإبريق فضة، ويشير إليه هنا قوله:

(٤) فى صفاء الفضة. أى: بياضها الخالص، وهذا يؤيد ما مر من أنه ﷺ ليس بأسمر، وإنما شبه بالدمية لأن صانعها يبالغ فى تحسينها، ولهذا ضرب بها المثل.

(٥) معتدل الخلق بفتح فسكون أى: متوسط الخلقة بين الطول والقصر، والسمن والهزال، والضخامة والصغر، فهو متناسب الأعضاء، مستقيم فى أحسن تقويم.

(٦) بادنا أى: ضخم البدن، غير دقيق الأعضاء، صغيرها، وأردفه بقوله:

(٧) متماسكا أى: كأن أعضاءه تمسك بعضها بعضاً لشدة ارتباطه به، ومناسبته له، وهو منصوب صفة بادنا، وروى بالرفع خبر مبتدأ مقدر.

(٨) سواء البطن والصدر أى: متساويهما، لم يرتفع أحدهما على الآخر.

(٩) مشيح الصدر بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة بمعنى: عريض متسع، مع مساواته لبطنه من غير تقاعس وانخفاض فيه، وروى بفتح الميم وكسر السين المهملة، وهو بمعناه.

(١٠) بعيد ما بين المنكبين: تثنية منكب بفتح الميم وكسر الكاف ونون بينهما وآخره باء موحدة، وهو ما بين الكتف والعنق، والمراد ببعدهما: سعتهما، وهو أقوى للبدن والبطش، وعبر عنه تارة بالبعد، وتارة بالعظم والكل واحد، وما موصولة.

(١١) ضخم الكراديس: جمع: كردوس: وهو رأس العظم، أو ملتقى كل عظمين كالمرفقين، وضخم بمعنى كبير، وكل عظم كثير اللحم: كردوس.

(١٢) أنور المتجرد: اسم مفعول، يعنى: ما خفى من البدن من التجرد، وهو الكشف، ورفع الثياب، وأنور بمعنى: نير مشرق، أو أفعل تفضيل، لأن ما تحت الثياب من البدن لعدم ملاقاته الهواء والشمس أبيض من الأطراف المكشوفة، وورد فى وصفه ﷺ أنه أجرد، وهو ضد الأشعر، فإن الشعر كان على أماكن مخصوصة من بدنه كالمسربة، والساعدين، والساقين. وقال الشريف الغرناطى فى «شرح البردة» : قال بعض الصحابة: رأيتُ ساقَ النبى ﷺ فى غرز الركاب كأنه جمارة، يعنى فى بياض اللون والطراوة، فإن قلت: الوارد فى صفته ﷺ أنه أزهر اللون، أى: مشرب بحمرة، وبياض الجمار خالص! قلت: يمكن الجمع بأن ما تحت الثياب مما لم يباشره الشمس خالص البياض بخلاف غيره، انتهى.

اللَّبَّة[1] والسُّرَّة[2]، بِشَعَرٍ[3]، يجْرى كالخَطِّ[4]، عَارى الثدْيين[5]، ما سوَى ذلكَ[6]، أَشعَرَ[7]، الذِّراعَينِ[8]، والمِنكبَينِ[9]، وأعَالى الصَّدْرِ، طويلَ الزِّنْدَينِ[10]، رَحبَ الرَّاحةِ[11]، شثْنَ[12]، الكَفَّينِ والقدَمَينِ[13]، سائِلَ الأَطرَافِ[14]،أو

(١) موصول ما بين اللبة بفتح اللام وتشديد الياء الموحدة. وهى النحر، وقيل: الصدر، وقيل: موضع القلادة، وما موصولة لا زائدة.
(٢) السرة وهى موضع ما يقطع من المولود، والمقطوع: سر.
(٣) بشعر متعلق بموصول.
(٤) يجرى كالخط وهو المسربة السالفة، وجريانه: امتداده، كماء جار، والخط: الطريقة المستطيلة المستقيمة، وفى الاصطلاح: ما وصل بين نقطتين متقابلتين، فكأنه جعل اللبة، وهى النقرة التى فوق الصدر نقطة، والسرة نقطة أخرى، والشعر الرقيق بينهما خطاً.
(٥) عارى الثديين تثنية ثدى بفتح المثلثة وكسرها تذكر وتؤنث، وروى الثندوتين بثناء مثلثة ونون، وهما بمعنى، قال الجوهرى: الثدى يكون للرجل والمرأة، ووافقه الصاغانى، وفى «درة الغواص»: الثدى خاص بالمرأة، والذى للرجل ثندوة وهو غير مهموز كترقوة على فعلوة، وهو مغرز الثدى أو رأسه، فإن ضممت همزته وهو فعلوه ففيه تفصيل، بيناه فى شرح الدرة وعلى ما قاله الحريرى تبعاً لبعض أهل العصر صوب بعضهم رواية الثندوتين، وزعم أن غيره خطأ لعدم ثبوته فى اللغة، وما قيل: من أنه صحيح على الاستعارة غير صحيح، ومعنى غاريها: أنه لا شعر عليهما، وقيل: لا لحم عليهما لما سيأتى من أنه أشعر.. إلى آخره، وفيه نظر، لأنه لم يذكر فيه أنه على ثدييه شعر، كما سنراه قريبا.
(٦) ما سوى ذلك أى: ما سوى الشعر الذى بين السرة واللبة، وهو بدل من الثديين، وفيه نظر. وروى: ما سوى ذين، وهو أظهر.
(٧) أشعر أى: كثير الشعر.
(٨) الذراعين بكسر الذال المعجمة : ما بين المرفق، وطرف الأصابع.
(٩) والمنكبين تقدم بيانهما.
(١٠) وأعالى الصدر طويل الزندين تثنية زند، وهو طرف الذراع المتصل بالكف، وطرفاه الكوع، وهو رأس الذراع مما يلى الإبهام والكرسوع، وهو رأسه مما يلى الخنصر، وهما العظمان اللذان فى ظاهر الساعد، والمراد: عظم الذراع، فسمّاه باسم بعضه، ولذا وصفه بالطول.
(١١) رحب الراحة أى: واسع الكف، والكف والراحة بمعنى، والراحة من الروح، وهو الاتساع.
(١٢) شثن بفتح الشين المعجمة وسكون الثاء المثلثة والنون. وهو الضخم الممتلئ لحماً، ويؤيده أنه ورد فى رواية: أنه ضخم.
(١٣) الكفين والقدمين وما فى النهاية فى تفسيره سن أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر غير مناسب، لقوله: رحب الراحة، وقيل: هو الذى فى أنامله غلظ بلا قصر، وذلك محمود فى الرجال دون النساء، لأنه أشد للقبض، أو البطش. وقال ابن بطال: كانت كفه ﷺ ممتلئة لحما، وهى مع ضخامتها لينة، وفى حديث أنس ﷺ: ما مسست حريرا ألين من كفه ﷺ. وقول الأصمعى: الشثن: غلظ مع خشونة لم يوافق عليه، ولا حاجة لتأويله بأنه لأمر عارض فى أسفاره، وجهاده، واستعمال يديه فى مهنة بيته، فإنه مناف لعده من الخلية، وهى الصفات الخلقية، فإن الذى ارتضاه أهل اللغة: أنه الضخم، ولا ينافيه قوله:
(١٤) سائل الأطراف وبسط الكفين، أو سبط الكفين، كما قيل؛ لأن المراد بالأطراف الأصابع، والكف، والقدم مغرسهما، فليست داخلة فى معناهما، ومعنى سائل باللام طويل، فكأنه شبهها بعين سالت من بركة لطولها، وصفائها، وبياضها، ولينها؛ لأن راحته ﷺ تنبع منها الخيرات والمياه، كما قلت فى قصيدتى الهمزية:

نبع الماء من أصابع كفه ... بأيادينا غاض فيها الماء
لا تقسها على أصابع نيل ... كم لكسر من جبرهن وفاء

قال سائنَ الأطرافِ[1]، وسائِرَ الأَطرافِ[2]، سبْط العصَب[3]، خمصان الأَخْمصَين[4]، مسِيحَ القدَمَينِ، ينْبو عنهما الماءُ[5]،إذا زالَ زالَ

(١) أو قال سائن الأطراف شك من الراوى فى قول ابن أبى هالة أنه قال ما تقدم، أو قال: سائن بنون مبدلة من اللام كما يأتى، وقالوا: جبريل، وجبرين، وإسماعيل وإسماعين.

(٢) وسائر الإطراف بالراء المهملة مكان اللام، ومعناه: باقى، أو جميع، وليس الثانى خطأ كما قاله الحريرى، وتبعه فى الشرح الجديد كما فصلناه فى «شرح الدرة» وعلى هذا الأخير هو مجرور معطوف على القدمين، أى: ضخم أطرافه كلها، وليس شكه لتقارب الحروف الثلاثة فى الخط والمخرج كما قيل، وقد ضبب فى النسخ على قوله سائن، بالنون، والصواب إثبات الألفاظ الثلاثة لما سيأتى فى تفسيرها كما قاله فى «المقتفى» وجاء هذا فى بعض الروايات من غير شك.

(٣) سبط العصب سبط بسكون الباء الموحدة وكسرها بمعنى: ممتد، ليس به تعقد وثيق، كما فى النهاية. والعصب وقع فى أصل البرهان بعين وصاد مهملتين، كما ضبطه ابن الأنبارى، والذى اتفق عليه ابن الأثير والهروى أنه القصب بالقاف لا بالعين، والمراد بالقصب: ساعداه وساقاه، وفى «الغرسين»: كل عظم عريض: لوح، وكل أجوف فيه: قصبة، وجمعها قصب، ويشهد له أن العرب تتمدح به، كما قال:

فجاءت به سبط العظام كأنما عمامته بين الرجال لواء

لأنه يدل على قوة البدن والشجاعة، والعصب بالعين : ما يمتد فى البطن لربط الأعضاء وتحريكها، كما بين فى علم التشريح، وهو إطناب المفاصل وقيل : المراد به ها هنا عظام الساقين والساعدين مجازًا لما بينهما من المجاورة، فتتحد الروايتان، وهو بعيدٌ جدًا .

(٤) خمصان الأخمصين خمصان بضم الخاء المعجمة وفتحها وسكون الميم لا بفتحها كما توهمه عبارة القاموس، وتبعه بعضهم هنا، وبهما ضبط لفظ الشفاء، ومعناه الضامر البطن، وهو ـ هنا ـ بمعنى المتجافى عن الأرض، أى: المرتفع. والأخمصين: مثنى أخمص، بوزن أحمر، وهو ما دخل من باطن القدم ولم يصب الأرض، لعدم مساواته العقب ومقدم القدم، وسمى به لضموره ودخوله، ولما كان أخمص القدم قد يطلق على ما يلى الأرض منها مطلقا أتى بقوله: خمصان مضافاً إليه؛ ليبين أنه على ظاهره، وهو المحل المرتفع، وليس المراد به المبالغة فى ارتفاعه كما فسره بعضهم هنا بالشديد التجافى لهذا، فجعله كليل أليل، وقد قال ابن الأعرابى: إذا كان خميص الأخمص بقدر لم يرتفع جداً، لم يستو أسفله، فهو أحسن، فإن استوى أو ارتفع جداً فهو مذموم، فمعنى خمصان الأخمصين أنه مرتفع باعتدال، وقال البرهان: وسيأتى ما ينافى هذا، يعنى قوله: مسيح القدمين، قال البارزى فى كتاب: «توثيق عرى الإيمان»: خمصان الأخمصين: متجافى أخمص القدم، وهو الموضع الذى لا تناله الأرض من وسط القدم، وقوله:

(٥) مسيح القدمين ينبو عنهما الماء قال المصنف ـ رحمه الله تعالى: فيما يأتى، أى: أملسهما، ولذا قال: ينبو عنهما الماء، وفى حديث أبى هريرة خلافه، ففيه إذا وطئ بقدميه وطئ بكليهما ليس له أخمص، وهذا يوافق معنى قوله: مسيح القدمين، وقد قالوا: سُمى عيسى ابن مريم ﷺ مسيحاً؛ لأنه لم يكن له أخمص، وقيل: معنى مسيح القدمين لا لحم عليهما، وهو مخالف لقوله: شثن القدمين، انتهى. وأقره صاحب «المقتفى» وفى «الشرح الجديد فى النهاية» معنى مسيح القدمين : أنهما ملساوان ليّنان، ليس فيهما التواء، وانشقاق، فإذا أصابهما الماء سال ومرَّ سريعاً من جانب الكعب القبلى، وقال ابنُ الحنبلى فى قصيدة الصرصرى النونية: ليس المسيح باطن القدمين الذى هو محل الخمصان، بل هو ظاهرهما لملامسة، فلا تعارض بين العبارتين.

أقول: هذا كله خلط منهما، وليت شعرى ما يقول فى حديث أبى هريرة الذى نقله البارزى، فالإشكال الذى ذكره البرهان غير مندفع، اللهم إلا أن يقال: أن الخمصة فيه قليلة جداً، ومعنى ينبو: يرتفع، والمراد به: مفارقة الماء، وانصبابه مجازاً، وأنشدوا هنا لبعضهم:=

تَقَلُعَـــاً[1]، وَيخْطُـــو تَكَفُّـــؤاً[2]، وَيمشـــى هَوْنَـاً[3]، ذَرِيـعَ المِشْية[4]، إذا مَـشَى كَـأَنَّما يـنْحطُ مِـن صـبب[5]، واذا التَفَـتَ الْتَفَـتَ جمَعِيـاً[6]، خَـافض الطَّرْفِ[7]، نَظَرُهُ إلى الأرض أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِه إلى السَّماءِ[8]، جُلُّ نَظَرِه المُلاحَظَةُ[9]، يسُوقُ أَصْحَابَهُ[10]، وَيبْدأُ مَنْ لَقِيهُ بالسَّلامِ[11]. قُلتُ[12]: صِفْ لى منْطِقَـهُ[1]، قـال:

=

يـــا رب بالقـــدم التـــى أوطأتهـــا ... مـــن قـــاب قوســـين المحـــل الأعظـــما
وبحرمـــة القـــدم التـــى جعلـــت لهـــا ... كتـــف المؤيـــد بالرســـالة ســـلما
ثبـــت عـــلى مـــتن الـــصراط تكرمـــا ... قـــدمى وكـــن لى منقـــذاً ومـــسلما
واجعلهـــا ذخـــرى فمـــن كانـــا لـــه ... ذخـــرا فليـــس يخـــاف قـــط جهـــنما

القدم الأولى قدمه ﷺ، والثانية قدم على ﷺ لما قال له ﷺ يوم الفتح: «اصعد لكسر أصنام الكعبة» فصعد على كتفه ﷺ، فى حديث رواه صاحب «الصفوة»، ومسيح بفتح الميم وكسر السين المهملة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة، وفى بعض النسخ مشيح بضم الميم وشين معجمة، ولم يفسرها، وكأنها تحريف من النساخ، أو معناها: خفيف المشى.

(١) إذا زال زال تقلعًا وروى: إذا مشى تقلع، أى: رفع رجليه رفعًا قويًا ليثبت فى مشيه فكأنه يقلع رجليه من الأرض، فيقارب خطاه من غير اختيال وإسراع، كما ورد فى قوله الآتى: كأنما ينحط من صبب، وروى: إذا زال زال قلعًا بفتح القاف وسكون اللام وكسرها، وروى بالضم أيضًا.

(٢) ويخطو تكفؤا أى: إذا مد خطاه يميل إلى قدامه كمن يتكفى، وتكفؤ إن همز ضمت فاؤه كالمصادر الصحيحة، مثل: تقدم تقدما؛ لأن الهمزة حرف صحيح، فإن أبدلت ياء كسر ما قبلها، فقيل: تكفيا كتسمى تسميا، ونحوه من المصادر المعتلة الآخر.

(٣) ويمشى هونا بفتح الهاء، أى: اذا مشى مشى برفق ولين ووقار، كما يأتى، لأنه ممدوح، قال تعالى: ﴿ يَمشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

(٤) ذريع المشية بفتح الذال المعجمة وكسر الميم، والذريع: الواسع الخطو، أى: مابين قدميه واسع، فمع عدم سرعته يساوى مشيه المشى السريع، أو يفوقه.

(٥) كأنما ينحط من صبب أى: ينحدر من مكان عال، والمنحدر من عال يكون له سرعة مع سهولة، وإنما قال «كأنما» لأنه ليس منحدرا على الحقيقة، وإنما هو كالمنحدر فى السرعة والسهولة.

(٦) واذا التفت التفت جميعا أى: إذا أراد أن ينظر لما خلفه، أو فى جانبه، لا يلوى عنقه، بل يصرف جميع بدنه، فيقبل جميعا، ويدبر جميعا من غير مسارقة نظر، فإنه خفة وطيش.

(٧) خافض الطرف مصدر بمعنى: تحريك الجفن، ثم صار بمعنى الخفض ضد الرفع، والطرف: العين، وفسر هذا بقوله:

(٨) نظره فى الأرض أطول من نظره فى السماء يعنى: إن نظره لجانب السفل أكثر من نظره إلى جانب العلو لخشوعه، وحيائه، ووقاره، وليس هذا مخصوصا بالصلاة والدعاء، فإنه مكروه فيهما، ولا ينافى هذا قوله: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤] لأن هذا باعتبار الأغلب، كما يشعر به لفظ قد.

(٩) جل نظره الملاحظة جل بضم الجيم بمعنى المعظم والأكثر، والملاحظة: بالنظر باللحظ، وهو طرف العين مما يلى الصدغ، ومما يلى الأنف: موق، ومأق، أى: ينظر بطرف عينه تأدبا وحياء.

(١٠) يسوق أصحابه أى: يمشى خلفهم، وفى ساقتهم، ولا يدع أحدا يمشى خلفه، كما هو عادة المتكبرين، وكان ﷺ يقول: «خلوا ظهرى للملائكة» وفى قوله يسوق: إشارة إلى أنه هو المحرك لهم، فما قيل من أنه لا يتقدم الصغار الكبار إلا إذا ساروا ليلا، أو خاضوا سيلا، ليس على وفق السنة.

(١١) ويبدأ من لقيه بالسلام لأنه من السنة أن يسلم الأكبر على الأصغر، والسلام دعاء وتحية، وهو تحية أهل الجنة، كما ورد فى السنة، فهو دعاء بالسلامة، واسم من أسمائه تعالى، وجوز إرادته هنا بمعنى: إن الله معك، ومطلع عليك، وابتداؤه سنة لا واجب بالإجماع، وفيه قول به ضعف لا يعتد به، ورده فرض كفاية، لا على كل أحد بعينه؛ لأن السلام معناه: الأمان، فإذا سلم أحد، ولم يجب، توهم الشر، فيجب دفعه كما قاله الحليمى، وهذا منه ﷺ تواضع، ولطف مناسب لما نحن فيه من حسن الخلق. قال الحسن ﷺ الراوى لهذا الحديث:

(١٢) (قلت) لخالى هند بن أبى هالة ـ ﷺ:

كان رسول الله ﷺ مُتواصِلَ الأَحْزانِ[٢]، دَائِمَ الفِكْرَةِ، لَيسَتْ لَهُ راحَةٌ[٣]، وَلا يتكَلَّمُ فى غَيْرِ حَاجةٍ[٤]، طَويلَ السُّكُوتِ[٥]، يفْتَتِحُ الكَلَامَ وَيخْتُمُه بأَشْدَاقِهِ[٦]، وَيتكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ،[٧] فَصلاً[٨] لا فُضُولَ فيه[٩] ولا تقصير[١٠]، دَمِثاً[١١]، ليسَ

---

(١) صفٌ لى منطقه مصدر ميمى، أى: نطقه وكلامه ﷺ، والنطق هو: اللفظ الدال على معنى، وأما قول سليمان عليه السلام: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦] وقول الشاعر

لقد نطق اليوم الحمام لنطربا .....

فلتنزيله منزلته لفهم سليمان عليه السلام منه معنى: ولادعاء الشعراء شوقه وطربه، كما قال الهروى.

(٢) قال كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان هذا مشتمل على الجواب وزيادة، فالجواب قوله الآتى: **ولا يتكلم فى غير** حاجة، فكأنه قال: كان كلامه موجزا قليلاً، وقيل: معناه: إن كلامه لم يكن بفرح وبطر، بل بحزن وأسف، وقال ابن قيم الجوزية: قول ابن أبى هالة: متواصل... إلى آخره لم يثبت عنه، وفى سنده مجهول، كيف وقد صانه الله عن الحزن وأسبابه، ونهاه عنه بقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ [النحل: ١٢٧] وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلا خوف عليه، ولا حزن فى الدنيا والآخرة، فمن أين يأتيه الحزن، وقد ورد وصفه ﷺ بأنه كان دائم البشر، ضحوك السن، وقد استعاذ من الهم والحزن، ومر أن الهم لما سيأتى، والحزن على ما مضى، وقال ابن تيمية فى حديث ابن أبى هالة: أنه ﷺ: كان كثير الصمت، دائم الفكر، متواصل الأحزان: ليس المراد بالحزن: الألم على فوت، وإنما المطلوب، أو حضور مكروه، فإنه لم يكن من حاله ﷺ، وإنما المراد به التيقظ لما يستقبل من الأمور، وهو مشترك بين العين والقلب، انتهى. قيل: وهو لم ينه عن ذلك؛ لأنه ليس باختياره، وإنما نهى عن تعاطى أسبابه، كما قيل:

ومن سره ألا يرى ما يسوؤه فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

انتهى. وقال ابن قيم الجوزية فى «شرح مدارج السالكين»: ليس الحزن من منازل السالكين، وقد ورد النهى عنه فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقد استعاذ منه ﷺ وحزن المؤمن يسر الشيطان، لأنه يفتر العزم، ولذا قال أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] الآية.

وهو من المصائب، وأما خبر: «إن الله يحب كل قلب حزين» فلم يثبت.

أقول: هذا تطويل بغير طائل، وإنكار ورود الحديث مردود، لأنه ثابت كما قاله الحافظ ابن تيمية وغيره، وأما كونه ليس من المقامات، فمع كونه غير مسلم كما مر، فلا يضر، والمراد: إنه ﷺ كان على هيئة الحزين حال سكوته لكثرة أفكاره فى أمور أمته وأحوالهم، كما يدل عليه قوله:

(٣) دائم الفكرة ليس له راحة وكيف لا، وقد قاسى ﷺ فى التبليغ ما لا يوصف، وأما وصفه ﷺ بالبشر والتبسم، فهو فى حال آخر، وهو مخاطبته للناس، والنظر فى أمورهم.

(٤) ولا يتكلم فى غير حاجة له ﷺ أو لأمته، كما قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

(٥) طويل السكوت عما لا يجدى نفعاً لكثرة أفكاره ﷺ، ودوام أذكاره.

(٦) يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه جمع شدق بفتح أوله وكسره وسكون داله المهملة، وهو جوانب الفم، وذلك لسعة فمه الدالة على فصاحته ﷺ كما مر، وهو مما تمتدح به العرب كما يأتى، أما قوله ﷺ: «أبغضكم إلى الله المتشدقون» فمعناه: من يتكلف كثرة الكلام بلا احتياط فيه، فسقط ما قيل: إنه من صفة الفم، ولا مدخل له فى الجوانب.

(٧) ويتكلم بجوامع الكلم وهى الكلمات الموجزة المشتملة على الحكم النافعة، السائرة مسير الأمثال، جمع جامعة، وتطلق على القرآن.

(٨) فصلاً بفتح الفاء وسكون الصاد المهملة، أى: كلاماً فاصلاً للخصومة، وفارقاً بين الحق والباطل.

(٩) لا فضول فيه: أى: لا زيادة فيه على أداء المراد، وهو اسم مفرد، وقيل: أنه جمع فضل خصّ بما ذكر، ونقل لمعنى آخر؛ ولذا نسب إليه، فقيل: فضولى، كما فى (المغرب).

(١٠) ولا تقصير فيما يريده بتقليل مخل بالفهم.

(١١) دمثاً بفتح الدال المهملة وكسر الميم وبالثاء المثلثة، من: الدماثة، وهى سهولة الخلق، مستعار من الأرض الدمثة، وهى: ذات الرمل المتلبد، أى: لين الخلق، لطيف المعاملة.

بالجَافي[1] ولا المهينِ[2]، يعَظِّمُ النِّعْمَةَ وإنْ دَقَّتْ[3]، لا يذُمُّ شيئاً[4]، لم يكُنْ يـذُمُّ ذَوَاقـاً[5]، ولا يمْدَحُهُ، ولا يقَامُ لِغَضَبِهِ[6]، إذا تُعرِّضَ لِلْحَقِّ بِشَيءٍ[7] حَتَّى يَنْتَصِرَ لـهُ[8]، ولا يغْـضَبُ لنَفْسِهِ، ولا ينْتَصِرُ لها[9]، إذا أشَار أشار بِكَفِهِ كُلِّها[10]، وإذا تعجـب قَلَّبَهـا[11]، وإذا تَحَـدَّثَ أَفصل بها[12].

---

(١) ليس بالجافى أى: ليس غليظ الطبع، وهو أصل معنى الجفاء، أو لم يكن يجفو أصحابه.

(٢) ولا المهين روى بضم الميم وفتحها، فالأول من الإهانة، والميم زائدة، أى: لم يكن ﷺ يهين أحدًا من الناس، والثانى: من المهانة وهى الحقارة، والميم أصلية، أى: لم يكن ﷺ حقيراً متذللاً لأحد من الناس، لشرف نفسه وعزتها، وهذا وصف لذاته ﷺ، ويحتمل أن يكون وصفاً لمنطقه.

(٣) يعظم النعمة وإن دقت أى: يعد كل ما أنعم الله به عليه عظيماً وإن لم يكن كذلك، ومعنى: دقت: صغرت، وقلت.

(٤) لا يذم شيئاً أى: شيئاً يستحق الذم.

(٥) لم يكن يذم ذواقاً بفتح الذال المعجمة وفتح الواو المخففة وألف وقاف فعال مصدر صار بمعنى: ما يذاق من مأكول ومشروب، فما قدم له ﷺ من طعامه ونحوه إن أعجبه أكل منه، وإلا كف يده، ولا يقول فيه شيئا، فلا يذمه.

(٦) ولا يمدحه ولا يقام لغضبه من قام: إذا ثبت، أى: لا يثبت له أحد، أو من قام بمعنى دام، أى: لا يدوم أحد على تحمل غضبه، ويقام بضم المثناة التحتية مبنى للمجهول، وفيه دلالة على أنه ﷺ كان يغضب لله، وقد ورد ما يدل على ذلك.

(٧) إذا تعرض لحق بشىء بضم التاء الفوقية والعين وكسر الراء المهملة المشددة والضاد المعجمة، أى: اذا اعترض أحد للحق بما يبطله، أو يقتضى خلافه، وبشىء بالباء الجارة واللام، وعامله إما يقام، أو تعرض.

(٨) حتى ينتصر له أى: للحق، فيؤيده ويبطل خلافه.

(٩) ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها أى: إذا آذاه أحد من الأعراب وغيرهم بما يتعلق بنفسه كالأعرابى الذى أمسكه ﷺ بردائه، ولببه، والذى قال: إن هذه قسمة غير عادلة، ونحو ذلك ككلام بعض المنافقين كأبى ابن سلول رأس المنافقين، وما كان يصدر منه.

(١٠) إذا أشار بكفه كلها أى: اذا أشار لشىء خارج الصلاة أشار برفع يده، وأما فى الصلاة إذا أشار للتوحيد أشار بإصبعه السبابة والمسبحة ليفرق بين الإشارتين، وله ﷺ إشارات أخر نبه عليها بقوله:

(١١) وإذا تعجب قلبها أى: قلب كفه، وجعل باطنها نحو السماء، وظاهرها للأرض، وتأنيث الكف لأنها مؤنث سماعى وهو إشارة لانفلات الحال عما يعتاد من غير إظهار للتعجب، واستغراب لأمر، وهذا مما يدل على سكونه ﷺ، وعدم خفته، وهو أمر ممدوح.

(١٢) إذا تحدث أفصل بها فى «شرح الدلجى» بهمزة وفاء وصاد مهملة ولام والضمير للكف، أى: وجه كفه، من فصل علينا إذا خرج من طريق، أو ظهر من حجاب قاصداً بها، أى: بكفه، ولم يبينه غيره، ووقع فى بعض النسخ: اتصل بها، أى: بمثناة فوقية بدل الفاء، وفى حاشية التلمسانى: وللحديث يتصل بها، أى: لا زال يحركها، وذلك أثبت لأنه قول وفعل، انتهى.

وهذا يدل على أن اتصل بها رواية، ففى العبارة ثلاثة وجوه: أفصل، واتصل، ويتصل، والمعنى: إنه ﷺ فصل حديثه بإشارته بيده لجهة من يخاطبه، كعادة من يهتم بكلامه فى أمر مهم.

أقول: هذا كلام مع غموضه غير محرر مع ما فيه، أما ما ذكره الدلجى من أنه أفصل بهمزة وفاء فتحريف؛ لأنه لم يسمع فى هذه المادة مزيد بزنة أكرم، فالصواب فصل، أو اتصل، ومعناه: أنه ﷺ فصل كلامه بإشارته، أو وصل إحدى يديه بالأخرى، ثم رأيته فى كتاب «النعمة فى الصلاة والسلام على شفيع الأمة» ذكر هذا الحديث، وانه اتصل، افتعال من الوصل، وهو الصحيح، وذكر أنه ﷺ كانت له إشارات مختلفة، فيشير بالمسبحة للتوحيد، ويجمع كفه لغيره فرقاً بينهما، وأنه كان إذا حدث وصل حديثه بالإشارة بيده توكيداً له، والظاهر أن الفاء آتية فى قوله:

فَضَرَبَ[1] بإبْهَامِهِ اليمْنَى رَاحَتَهُ اليسْرَى[2]، وإذا غَضِبَ أَعْرَضَ[3] وأَشَاحَ[4]، واذا فَرِحَ[5] غَضَّ طَرْفَهُ[6]، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ[7]، ويفْتَرُّ[8] عَنْ مِثْلِ حَبِّ الغَمَامِ[9].

قال الحَسَن[10] : فَكَتَمْتُهَا[11] عن الحسين[12] بن علي رضى الله عنهما زَمَاناً[13] ثم

---

(١) فضرب تفصيلية، كقوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ ﴾ [هود: ٤٥] إلى آخره، ولم يبينوا معناه، والظاهر: أن المعنى: أنه ﷺ كان يشير بجميع كفه إذا كان مع أصحابه على وجه متعارف، كالإشارة للذهاب والجلوس ونحوه، فإذا تحدث وضع إبهامه على راحته وقت حديثه لتثبيت حديثه، أو انتهائه، فاعرفه، وقوله :

(٢) بإبهامه اليمنى راحته اليسرى كذا فى أكثر الروايات، وفى بعضها : فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، والإبهام معروف، يذكر ويؤنث، وجمعه : أباهيم، وأباهم، قالوا : وهذا عادتهم إذا تحدثوا .

(٣) إذا غضب أعرض عمن غضب عليه من غير لوم له، لشدة حلمه ﷺ .

(٤) وأشاح بشين معجمة وحاء مهملة بينهما ألف، قيل : معناه : صرف وجهه، فهو تأكيد لما قبله، وقيل: معناه: قبض وجهه، وزواه من غير لوم وعقاب، وهذا من حلمه ﷺ ، فلا يقال: كيف أدرج هذا فى صفات المدح؟ فأجاب بأن الغرض بيان صفاته ﷺ للمسائل؛ لأن المقام يأباه، وسيأتى من المصنف تفسيره بما يقارب هذا،وقيل: إن فى النهاية : أن المشيح: الحذر، أو الجاد فى الأمر، أو المقبل عليك، المانع لما وراء ظهره، وفى حديث سطيح: أقبل على جمل مشيح، أى: جاء مسرعا، فيجوز أن يريد أحد هذه المعانى، أى: حذر من موجب غضبه، أو حذر فى الأمر، ليشعر بإعراضه عن موجب غضبه، أو أقبل عليه ليمنع من وراءه من ضرر المغضوب عليه، ولا يخفى أنه تكلف، مخالف لما اختاره المصنف مما هو أظهر هنا .

(٥) وإذا فرح لرؤية ما يسره، أو سماعه .

(٦) غض طرفه، أى: أرخاه، وأطرق تباعداً من الأشر والمرح .

(٧) جل ضحكه التبسم أى : أكثره، وقد تقدم بيانه، وقد يضحك ﷺ أحيانا حتى تبدو نواجذه، والتبسم مبادى الضحك .

(٨) ويفتر بفتح الياء وسكون الفاء وفتح التاء الفوقية وتشديد الراء المهملة، من قولهم: افتر ضاحكاً، إذا أبدى أسنانه، قال :

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

وهو من : فررت الدابة، إذا كشفت فمها لتعرف سنها، وذلك هو الفرار بالضم .

(٩) عن مثل حب الغمام متعلق بيفتر، والغمام: السحاب، واحده: غامة كسحابة، وحبه هو البرد المعروف، لا قطر المطر كما توهم، فإنه مع عدم مناسبته لا يسمى حبا، لأن الحب الجامد دون السائل، وتشبيه أسنانه ﷺ به لصفائه، ولمعانه، ورطوبته، دون جريه، حتى يقال: إنه لنوع منه، وهو مشهور فى كلامهم كما مر .

(١٠) قال الحسن بن على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنهما :

(١١) فكتمتها أى: أخفيت صفاته ﷺ التى سمعتها من ابن أبى هالة .

(١٢) الحسين مفعول ثان لكتم، وفى نسخة: عن الحسين بن على .

(١٣) زماناً مدة من الزمان .

حَدَّثْتُهُ[1] فَوَجَدْتُهُ قد سَبَقَنى اليه[2]، فَسَأَل أباهُ عـن مَـدْخَلِ رسـول الله ﷺ ومَخْرَجِـهِ ومَجْلِسِهِ[3] وَشَكْلِهِ[4] فلمْ يدَعْ مِنْه شيئا[5] .

قال الحُسَين : سَـأَلْتُ أبـى عَـنْ دُخُـولِ رسـول الله ﷺ؟ فقـال : كـان دُخُولُـهُ لِنَفْسِهِ[6]، مَأْذُوناً لَهُ فى ذلِكَ[7]، فَكَـانَ إذا أَوى[8] إلى مَنْزِلِـهِ، جَـزَّأَ دُخُولَـهُ[9] ثَلاثَـةَ أجزاء جُزْءا لله[10]، وَجُزْءاً لأَهْلِهِ[11]، وَجُزءاً لِنَفْسِهِ[12]، ثُـمَّ جَـزَّأَ جُـزْأَهُ بَينَـهُ وبَينَ النَّاس[13]، فَيرُدُّ ذلِكَ عَلَى العَامَّة بالخَاصَّةِ[14]، وَلا يدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيئاً[15]، فَكَانَ مِـنْ

---

(١) ثم حدثته بما سمعته من صفته ﷺ .

(٢) فوجدته قد سبقنى إليه أى : إلى الحديث المعلوم من قوله : حدثته، أى : حفظه قبلى، إلا أنه رواه عـن أبيه على ـ رضى الله تعالى عنهما.

(٣) فسأل أباه عن مدخل رسول الله ﷺ، ومخرجه، ومجلسه وفى نسخة : وملبسه بدل مجلسه، فـإن كانـت الثلاثة مصادر ميمية، فظاهر، وإلا كانت اسم زمان أو مكان، فالمراد : سـألته عـن حالـه فى مخرجـه ومدخله، والمراد :خروجه ﷺ للنـام، ودخـول بيتـه وجلوسـه عنـدهم كـما سـياتى، وقيـل المـراد بمجلسه بكسر اللام: هيئة جلوسه، وإن ما ذكر استقراء لجميع أحواله، يعنى : الحسن، أنـه سـمع هذه الصفات من ابن أبى هالة خاله، ولم يخبر أخاه بما سمعه منه، والحسين لم يسمعها من خاله، فلـما حدثه بها وجد عنده علما منها من طريق، وهى روايته لها عن أمير المؤمنين أبيه مع زيادة، وإنـما كـتم ذلك عنه مع النهى عن كتمان العلم عن أهله؛ لأنه لم يسأله، ولم ينحصر علمه فيها، ولو كان كـذلك دخل فى حديث : «من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار»أو أنه كتم عنـه كـلام أبـى هالـة الوصـاف البليغ دون معناه لعلم أهل البيت بذلك، فإن الثبت والحديث لهم.

(٤) وشكله: بفتح أوله، أى : هيئته فى ذلك الحال، وبكسره بمعنى الهدى، والسمت، قاله التلمسانى .

(٥) فلم يدع من ذلك شيئا أى : لم يترك شيئا من أحواله إلا بينه لى .

(٦) قال الحسين سألت أبى ﷺ عن دخول رسول الله ﷺ، فقال : كان دخوله لنفسه أى : دخوله منزله ليجتمـع بأهلـه لمصالحه، وقضاء مآربه وقيلولته .

(٧) مأذونا له فى ذلك من الله إذنا عاما بحيث يدخل؟ أى بيت من بيوته فى أى وقت من غير استئذان من زوجاته رضى الله تعالى عنهن؛ لأنه ﷺ كان لا يجب عليه القسم، وقيل : المراد : دخوله بيوت أصحابه ﷺ وهو بعيد لقوله:

(٨) فكان إذا أوى الأصح قصره، ويجوز مده.

(٩) إلى منزله جزأ دخوله أى : قسم زمن دخوله لبيته .

(١٠) ثلاثة أجزاء جزءا لله: أى : لعبادته والتفكير فى ملكوته .

(١١) وجزءا لأهله يدبر فيه أمورهم، ويصلحها، ويتلطف بهم .

(١٢) وجزءا لنفسه من مأكل، ومشرب، وراحة، وغيره بما يليق به لقوله :

(١٣) ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس أى : قسم الزمن الذى جعله لنفسه، فجعل قسما منه مخصوصا بذاتـه وأحوالـه فى نفسه، وجزءا آخر للناس وسائر الأمة، وهو فى منزله، ولا يلاقيه فيه إلا أهله، أو خواص أصحابه الذين يؤذن لهم فى الدخول عليه، وغيرهم لا يصل إليه ثمة، فلذا قال :

(١٤) فيرد ذلك على العامة بالخاصة يرد بمعنى: يوصل ويعطى كأنه لما كان لهم حق فى الجملة أخذ منهم، ثم رد إليهم، وقيل: معناه: يستعين؛ لأنه ورد أنه ﷺ كان يستعين بالخاصة على العامة، وهو بيان لمحصل المعنى، وذلك إشارة لما فهم من السياق، وهو جزء الناس والعامة من عدا الخاصة التى عرفتها، فكانت الخاصة تخبر العامة بما سـمعه ﷺ إذا لم يكن مما ينبغى كتمه عنهم، والباء فى الخاصة للسببية، وكونها للبدل، كقوله :

فكيف لى بهم قوما إذا ركبوا

لأنه ليس المراد أنه يجعل وقت العامة بعد الخاصة، وبدلا منه، وعلى : على ظاهرها، وقيل : بمعنى إلى، وروى بدل يرد بيدل بالمعجمة والمهملة مع ضم الياء المثناة التحتية وفتحها فيها .

(١٥) ولا يدخر عنهم شيئا أى : عن المذكورين من العامة والخاصة، وقيل : عن الداخلين عليـه ﷺ، والمـال واحـد، =

سِيرتِهِ فى جُزْءِ الأُمَّةِ [١]، إيثَارُ أهْلَ الْفَضْلِ بإذنِهِ [٢]، وقِسْمَتُهُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فى الدِّينِ [٣]، مِنْهُمْ ذو الحاجَةِ [٤]، ومِنْهُمْ ذُو الحَاجَتَين، ومِنْهُمُ ذُو الْحَوائِجِ [٥]، فَيَتَشَاغَلُ بِهِم [٦]، ويشْغَلُهُمْ [٧] فيما يصْلِحُهُمْ [٨] والأُمَّةَ [٩] مِنْ مَسْأَلَتِهِ عَنْهُمْ [١٠] وإخْبَارِهِمْ [١١] بالَّذى ينْبَغى لَهُم [١٢]، وَيقُولُ: «لِيبلِّغ الشَّاهِدُ [١٣] مِنْكُمْ الغائِب [١٤]، وأَبْلِغُونى حَاجَةَ مَنْ لا يستَطيعُ إبلاغِى حاجَتَه [١٥]، فإنَّهُ [١٦] مَن أبْلَغَ سُلْطاناً حاجَةَ مَنْ لا يستطيعُ

=ويدخر بدال مهملة مشددة، وأصله: يذتخر بذال معجمة وتاء افتعال، من: الدخر، قلبت تاؤه وذاله دالا، وفعل به ما علم من كتب الصرف، وكذا أمثاله من ادكر، ويجوز يذخر بذال معجمة مشددة وخاء.

(١) فكان من سيرته فى جزء الأمة وهو الجزء الذى جعله للناس وأفرزه مما كان لنفسه، أى: كان دأبه ﷺ وعادته فى هذا الجزء.

(٢) إيثار أهل الفضل بإذنه الإيثار: تقديم ما يؤثره على غيره، والمراد بإذنه: أنه يأذن لهم فى الدخول فى خلوته فى بيته كما مر، وما قيل من أن المراد بأهل الفضل أغنياء الصحابة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ والفضل زيادة مالهم على حاجتهم، والمعنى: إنه ﷺ يأذن لهم أن يؤثروا بصدقاتهم أقرباءهم، كما وقع لأبى طلحة ﷺ فى بئر حاء تكلف أوقعه فيه قوله:

(٣) وقسمته على قدر فضلهم فى الدين فتوهم أن المراد تقسيم المال والعطاء، وليس كذلك، وإنما معناه قسمة جزئه فى حديثه معهم، واشتغاله بأحوالهم، وقوله: فى الدين؛ لأن أكرمهم عند الله أتقاهم، فتفاوتهم عنده بذلك لا بالنسب والمال، وفى بعض النسخ: وقسمه بدون تاء، ثم بين سبب تفاوتهم بقوله:

(٤) منهم ذو الحاجة الواحد.

(٥) ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج الثلاثة فأكثر.

(٦) فيتشاغل بهم أى: بقضاء حوائجهم وإرشادهم لما يصلح معاشهم، ومعادهم.

(٧) ويشغلهم بفتح الياء المثناة التحتية، مضارع: شغل، وأما أشغل فلغة رديئة كما مر، أى: يجعلهم ﷺ مشغولين بما أمرهم به.

(٨) فيما يصلحهم وفى نسخة: أصلحهم، أى: ما فيه صلاحهم.

(٩) والأمة بالنصب، أى: وأصلح الأمة لتبليغه لهم ما يليق بهم بعد معرفته ﷺ بحالهم.

(١٠) من مسألته عنهم وهو بيان لما، أى: سؤاله عن أحوالهم، وروى مسألتهم، أى: الخاصة ذوى الفضل.

(١١) وإخبارهم أى: إخبار ذوى الفضل.

(١٢) بالذى ينبغى لهم أى: يليق، ويناسب حال المسؤول عنهم من الأمة، وهو مطاوع بغى، بمعنى طلب، الراغب: اذا قيل: ينبغى أن يكون كذا، فهو على وجهين:

أحدهما: ما يكون مسخراً للفعل، نحو: النار ينبغى أن تحرق.

الثانى: الاستيهال، نحو: فلان ينبغى أن يعطى لكرمه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩] ويقول ﷺ لمن حضر عنده:

(١٣) ليبلغ الشاهد أمر، وهو للوجوب فى الأمور الشرعية، وهو بتخفيف اللام بقرينة ذكر الأتباع بعده، ويجوز تشديدها، والأول أصح هنا، والشاهد الحاضر عنده لمقابلته بقوله:

(١٤) الغائب وهو من لم يكن حاضراً أو موجوداً، فهو من كبار الصحابة والغائب من صغارهم، أو هم الصحبة والتابعون، قيل: ويحتمل أن يراد العالم، والجاهل، وأهل الحضر، والبادية، والسامع، ومن لم يسمع، والمسلم، والكافر. وهذه احتمالات عقلية، أو هى تأويلات وتعميم لمفهومه، فتأمل.

(١٥) وأبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغى أى: حاجته، وروى: إبلاغ حاجته، وهو تعميم بعد تخصيص للترغيب، والحث، وبيان لسبب الأمر.

(١٦) فإنه أى: الأمر والشأن.

إبلاغَهَا[1] ثَبَّتَ الله قَدَمَيهِ يومَ القِيامةِ[2] لا يذْكَرُ عِندَهُ[3] إلا ذِلكَ[4]، وَلا يقْبَلُ مَنْ أحَدٍ[5] غَيرَهُ[6].

قال[7] فى حديثِ سُفْيانَ بنِ وَكِيع[8]: يـدْخُلُونَ[9] رُوَّاداً[10] ولا يتفرَّقُـونَ[11] ألا عَن ذَوَاق[12] وَيخْرُجُونَ[13] أدِلَّة، يعْنى: فُقَهَاء[14].

قُلْتُ[15]: فأخبرنى عن مخرجه[16] كيف كان يصنع فيه[17]؟ قال: كان رسول

---

(١) من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها قيل: يريد أن من أبلغ سلطاناً حاجة جوزى بهذا الجزاء العظيم، فكيف بمن بلغ رسول الله ؟! وإلا فهو أجل من أن يكون ملكاً أو سلطانا، وقد قال كما تقدم: «لست بملك» قلت: فيه نظر. وقد يقال: المراد بالسلطان هنا الإمام الأعظم خليفة الله، وقد أطلق الفقهاء ذلك عليه، كما بيناه فى حكمه، بالسلطنة والفتيا والقضاء المذكور فى القواعد للسبكى كما سيأتى، وهذا الحديث مستقل رواه الأصبهانى، وفى بعض ألفاظه اختلاف.

(٢) ثبت الله قدميه يوم القيامة على الصراط يوم تزل الأقدام كما ورد مصرحا به فى رواية لابن أبى الدنيا، وذلك لأنه مشى بقدميه، وسعى لحاجة أخيه، فهو جزاء من جنس العمل، وهو كناية عن نجاته من أهوال الموقف.

(٣) ولا يذكر عنده أى: لا يذكر فى مجلسه.

(٤) إلا ذلك: الإشارة لجميع ما تقدم من ذكره مصالحهم، وسؤاله عن الأمة، والأمر بالتبليغ والحث عليه، والترغيب فيه.

(٥) ولا يقبل من أحد البناء للفاعل والمفعول.

(٦) غيره: أى: لا يرضى كلاماً غير ما يكون من هذا القبيل.

(٧) وقال: أى: على ﷺ عنه فى رواية.

(٨) فى حديث سفيان بن وكيع بن الجراح، أبو محمد الكوفى، وهو إمام حافظ، روى عنه الترمذى والدارقطنى وغيرهما، توفى سنة سبع وأربعين ومائتين، ووالده إمام جليل حافظ ـ رحمه الله تعالى.

(٩) يدخلون أى: أصحابه ـ رضى الله تعالى عنهم.

(١٠) روادا بضم الراء المهملة وتشديد الواو وألف ودال مهملة جمع رائد، وأصله من يتقدم القوم المسافرين ليختار لهم منزلا فيه الماء والكلأ، فاستعير هنا للطالبين المحتاجين لحاجتهم، وما يرشدهم، وقيل: يتحينون وقت الوصول إليه. وقال التلمسانى: إن روادًا بكسر الراء وتخفيف الواو، ومصدره: رود ويروى لواذا بلام وذال معجمة، أى: ملتجئين، لائذين به.

(١١) ولا يتفرقون عن مجلسه ﷺ.

(١٢) إلا عن ذواق: بفتح الذال المعجمة والواو المخففة وألف وقاف، فعال من الذوق بمعنى: المذوق، وهو المأكول، فاستعير للعلم الذى يتعلمونه، ويتحمل أن يريد حقيقته، لأنه ﷺ كان عادته أن يطعم شيئا لمن يدخل بيته، وعلى هذا جرت عادة السلف الصالحين، وحقيقة الذوق كما قاله الراغب: وجود الطعم بالفم، وأصله فيما يقل تناوله، وفيه تفصيل ذكرناه فى كتابنا «طراز المجالس» أى: لا يتفرقون إلا عن علم وأدب هو غذاء لأرواحهم، وسبب لبقائهم.

(١٣) ويخرجون من عنده ﷺ.

(١٤) أدلة، يعنى فقهاء عالمين بأمور الدين، أى: هداة مرشدين للناس، ويهتدى بهم غيرهم، فأدلة جمع دليل، بمعنى هادى، أو بمعناه المشهور، كما يقال: فلان حجة الإسلام والصحابة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ كلهم مجتهدون خلافا لبعض الحنفية، كما فى «تحرير ابن الهمام».

(١٥) قلت قائله الحسين لأبيه ـ رضى الله تعالى عنهما.

(١٦) فأخبرنى عن مخرجه أى: عن حاله ﷺ بعد خروجه من منزله.

(١٧) كيف كان يصنع فيه بعد خروجه من منزله.

اللهﷺ[1] يخزن لِسَانَهُ[2] إلا مما يعنيهم[3]، ويؤلفهم، ولا يفرقهم[4]، يكرم كريم كل قوم[5]، ويوليه عليهم[6].

ويحذر الناس ويحترس منهم[7]، من غير أن يطوى[8] عن أحد بشره[9] وخلقه[10]، ويتفقد أصحابه[11]، يسأل الناس عما فى الناس[12]، ويحس الْحَسَنَ وَيصَوبّه[13] وَيقَبِّح القَبيحَ ويوُهنهُ[14]، معْتدَلَ الأمْر[15] غَيرِ مُخْتَلِف[16]، لا يغْفُلُ[17] مَخَافَةَ أَنْ يغْفَلُوا[18]

---

(١) قال كان رسول اللهﷺ من وضع الظاهر موضع الضمير للاهتمام، والتلذذ، والتبرك بذكره.

(٢) يخزن لسانه: بالخاء وضم الزاى المعجمتين والنون، أى: يصونه، ومنه الخزانة لأنه لا يحب كثرة الكلام، قال:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شىء سواه بخزان

ولما فيه من المنع عداه بمن فقال:

(٣) إلا فيما يعنيهم وفى نسخة: إلا فيها، ويعنى بفتح المثناة التحتية، أى: يهمهم وينفعهم من جواهر كلمه، وزواجر حكمه.

(٤) ويؤلفهم ولا يفرقهم أى: يجعلهم مؤتلفين به غير متفرقين عنه لمداراتهم، ولطفه بهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] أو يجعل الله بينهم ألفة تحثهم على التحاب والمؤاخاة بينهم.

(٥) يكرم كريم كل قوم كما قال: «أكرموا عزيز كل قوم» لمعرفته ﷺ بمقادير الناس.

(٦) ويوليه عليهم: أى: يجعله حاكما عليهم، فلا يولى أحدا من أصحابه غيرهم ولا غيرهم عليهم، ولا يولى صغارهم عليهم رعاية لأهلية ذوى الولايات وتجنبا لإعلاء السافل ترغيبا فى الإسلام.

(٧) ويحذر الناس ويحترس منهم: لأن من الحزم سوء الظن، وعدم الوثوق بكل أحد، وقال عمر - ﷺ: احتجزوا بسوء الظن وهو من بديع حكمه، وليس المراد بالناس جميعهم، بل عوامهم بخلاف خواصهم، والاحتراز والاحتراس والحذر متقاربة، وقيل: الاحتراس: التحفظ، والاحتراز: التعوذ، والحذر: الخوف.

(٨) من غير أن يطوى أى: يخفى، ويمنع، استعارة من: طى الثياب.

(٩) عن أحد بشره: أى: طلاقة وجهه، وانبساطه معه تأنيسا له، وتأليفا لقلبه، وإذهابا لخوف مهابته.

(١٠) وخلقه أى: حسن خلقه، ولم يذكر الحسن إشارة إلى أنه مجبول على الحسن فيه.

(١١) ويتفقد أصحابه: أى: يسأل عمن لم يحضر عنده، وفقد من مجلسه، وقد يذهب ﷺ لمنزله إذا طالت غيبته، ويطلبه.

(١٢) ويسأل الناس عما فى الناس من أحوالهم وأمورهم ليعلم أمرهم، فيتدارك ما ينبغى تداركه، وينصح من يلزم نصحه، وليس هذا من التجسس أو الغيبة المنهى عنه، بل من سؤال الطبيب ليشفى المريض، فإذا أخبره بحال حسن حمد الله على ذلك.

(١٣) يحسن الحسن، ويصوبه أى: يبين حسنه، وكونه صوابا، ويمدح فاعله ترغيبا له فيه.

(١٤) ويقبح القبيح ويوهنه بضم أو فهما، وتشديد ثانيهما، والنون أو الياء التحتية، من الوهن بمعنى الوهن، وهو الضعيف، أى: يقول هو فعل قبيح وضعيف ساقط تنفيرا، وتحذيرا، ونصحا نافعا، والمراد: الحسن، والقبيح عادة أو شرعا، وفيه صنعة الطباق.

(١٥) معتدل الأمر أى: أموره ﷺ كلها معتدلة، فلا يبالغ فى تحسين وتقبيح غيره.

(١٦) غير مختلف أى: على سنن واحد فى جميع أوقاته.

(١٧) لايغفل عن شىء من أحوال الناس.

(١٨) مخافة أن يغفلوا عما يصلحهم، وهو بضم الفاء فيهما.

أَوْ يملوا[1] لكَل حَال [2]، عنْدَهُ عَتَاد[3]، لا يقَصرُ عَنِ الحقِّ ولا يجَاوِزُهُ الى غَيرِهِ[4]، الِذينَ يلُونهُ مِنَ النَّاسِ[5] خِيارُهُم[6]، وأفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ : أعَمُهُم نَصِيحةً[7]، وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزلة[8] : أحْسنَهُمُ مُوَاسَاةً[9] ومؤازرة[10] فسألتُهُ [11]عَنْ مَجْلِسِهِ[12] عَمَّا كَانَ يصنَعُ فيه؟ فقال : كانَ رسول الله ﷺ لا يجَلس ولا يقُومُ[13]إلاّ على ذِكْرٍ[14]، ولا

---

(١) أو يملوا أى : يحصل لهم فتور وكسل عن صالح أمرهم، اذا لم ينبههم عليه، ولو أرجع هذا لقوله معتدل الأمر لم يبعد، ويجمع هذا قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل : ١٢٥].

(٢) لكل حال من أحوال الناس .

(٣) عنده عتاد بعين مهملة مفتوحة ومثناة فوقية ودال مهملة، وهو كالعتيد: العدة، والحاضر المعد لإصلاحه، وتداركه إذا وقع، فهو متخلق بقوله : ﴿ ما يَلفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨] وقيل : أصل العتاد عداد لأنه من العدة، فأبدلت داله تاء هربا من التكرار.

(٤) ولا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره فإذا رآه عمله، وإذا رأى منكرا أزاله من غير تأخير .

(٥) الذين يلونه من الناس أى : يقربون منه فى مجلسه ونحوه .

(٦) أخيارهم أى : أفضلهم وأشرفهم .

(٧) وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة: أعم هنا بمعنى أكثر نصيحة، أو أكثر منصوحا، بأن ينصح فى كل أمر كل أحد بإرشاده لما هو خير له، ولذا قال ﷺ : «الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين» فنصيحة الله : إخلاصه فى اعتقاده له بما يليق به من توحيده وعبادته، مخلصا لوجهه. ولكتابه : فهم معانيه، والعمل بما فيه . والنصيحة لرسول الله ﷺ : الإيمان به، واجتناب نواهيه، وامتثال أوامره . ولأئمة المسلمين : طاعتهم، وعدم الخروج عليهم، ونصيحته العامة : إرشادهم لمصالحهم، والنصح : إرادة الخير لمن ينصحه بإخلاص، وهى كلمة جامعة، يقال : نصحته، ونصحت له

(٨) وأعظمهم عنده منزلة أى : رتبة وشرفا.

(٩) أحسنهم مواساة لكل أحد، لأن حذف المتعلق يفيد العموم، والمواساة: إعطاء من يريد ما يريد، وبذله له، يقال : آساه، وواساه بواو مبدلة من الهمزة : إذا جعله أسوة له.

(١٠) ومؤازرة أى : إعانة لمن التجأ إليه. يقال: آزره، ووازره، إذا أعانه، وقواه، وساعده، من الأزر، وهو الظهر لأن قوة البدن به، أو من الوزر، وهو الملجأ، ومنه : الوزير، وفى الحديث : «ما أحد عندى أعظم يدا من أبى بكر، واسانى بنفسه وماله» . وهذا يدل على أنه أفضل الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ قال الحسين ﷺ:

(١١) فسألته: يعنى : علياً والده ـ رضى الله عنهما.

(١٢) عن مجلسه: أى : عن حاله فى مجلسه خارج بيته مع الناس، ومعاملته لهم فيه، ولذا ردفه بقوله:

(١٣) ما كان يصنع فيه؟ فقال : كان لا يقوم من مجلسه .

(١٤) إلا على ذكر لله: يجعله ﷺ ختام مجلسه، فكان إذا قام منه قال : «سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت» فيجعل ذلك علامة لانصرافه عن العامة والذكر بالذال المعجمة إذا أطلق أريد به ذكر الله تعالى، وإن كان عاما . وقال التلمسانى ـ رحمه الله تعالى : وقد تهمل ذاله قليلا، فقيل : إنها لثغة، وقيل : لغة، ولا دليل لقائله فى نحو :

﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٧] فإنه مغالطة.

يوَطِّنُ[1] الأماكِنَ[2] وينَهْى عَن إيطانِها[3].

وإذَا انْتهَى[4] إلى قوم[5] جَلَسَ حَيثُ ينْتهى به المجلس[6]، وَيـأْمُرُ[7] بِـذلِكَ[8]، ويعْطى كلَّ[9] جُلَسائه نصيبَهُ[10]، حَتّى لا يحْـسِبُ[11] جَلِيـسُهُ أنّ أحـداً أكـرمَ عَلَيـه منُه[12]، مَنْ جَالسَهَ أو قاوَمَهُ لِحاجَةٍ[13]، صابَرُه[14] حَتَّى يكونَ هُوَ الـمُنْـصَرِفَ عَنْـهُ[15]،

---

(١) ولا يوطن بضم المثناة التحتية وسكون الواو وكسر الظاء مشددة ومخففة وفتحها مشددة، كما فى بعض الشروح، وفى بعضها: إنه بالكسر، من : أوطنه، ووطنه، إذا اتخذه وطنا.

(٢) الأماكن جمع أمكن، أو أمكنة، جمع مكان، فهو جمع الجمع، ففى ميمه خلاف هل هى أصلية، أو زائدة.

(٣) وينهى عن إيطانها أى : اتخاذها وطنا، والمراد : ملازمة محل بخصوصه فى غير بيته مما ليس بملك، كالمسجد، وغيره من الأماكن المباحة؛ لأن لكل أحد حقا فيه، والنهى الوارد عنه ﷺ إنما هو فى حق المسجد بأن يتخذ مصلى معينا منه، ولذا نص الفقهاء على كراهة إرسال السجادة للجامع، وفرشها فيه، وفى الحديث : نهى النبى ﷺ أن يوطن الرجل المكان بالمسجد، قيل : وهو عام مخصوص بما لم يتضمن مصلحة كمن ألف مكانا للإفتاء والتدريس، فله إيطانه، وإقامة غيره منه إذا كان من لا يعرفه يأتى لاستفتائه، فيعرفه فى مكانه، وقوله : إيطانها يؤيد أن يوطن مخفف ولا يعنيه، كما قيل، لأنه يجوز أن يذكر فعل من باب ويذكر له مصدر، أو اسم فاعل، أو مفعول، واسم مكان وغيره من باب آخر، نحو ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ [المزمل : ٨] وقوله :

وداع دعـا مـن يجيـب إلى النـدا فلـم يـستجبه عنـد ذاك مجيـب

ويجوز فى نحو : أجراه مجراه ضمن الميم وفتحها، وقد تكون المغايرة أبلغ، وأكثر معنى، وهذا مما ينبغى التنبيه له .

(٤) وإذا انتهى مشيه قاصداً .

(٥) إلى القوم الذين يريد الجلوس معهم.

(٦) جلس حيث ينتهى به المجلس أى : فى أى مكان خال منه، من غير تصدر على أصحابه ﷺ، وينتهى من النهاية؛ لأنه نهاية محل الجالسين فيه.

(٧) ويأمر: أصحابه.

(٨) بذلك تشريفًا وتأديبا، فعلم أن تحرى الصدر مكروه شرعا، لما فيه من الكبر والترفع على أصحابه، لا سيما اذا لم تطب أنفسهم بذلك، فيتأذون به، فإنه قد يحرم، كما يفعله علماء السوء فى زماننا.

(٩) ويعطى كل أحد من.

(١٠) جلسائه نصيبه أى : ما يستحقه من ملاطفته، ومجاوبة سؤاله، وبشره ﷺ له.

(١١) حتى لا يحسب: أى : يظن .

(١٢) جليسه أن أحدا أكرم عليه منه أى : يظن أنه أكرم الناس، وأجلهم عنده، لما يرى من لطفه به، فهو كقولهم: ليس فى البلد أعلم منه، كما مر تحقيقه، فهو غاية لذلك الإعطاء .

(١٣) من جالسه أو قاومه فى حاجة: أى : من حادثه، أو قام مع قيامه لغرض حاجته، أو لغير ذلك، فهى مفاعلة من الجلوس والقيام .

(١٤) صابره أى : صبر عليه، أو صبر مقدار صبره، فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو، كل ذلك لاشتمامهم وتطييب قلوبهم، فلا يمل حتى يملوا .

(١٥) حتى يكون هو المنصرف عنه والحصر بتعريف الطرفين فى محله هنا.

مَنْ سَأَلَهُ حَاجَةٍ لَمْ يَرُدَّهُ إلاّ بِهَا[1]، أو بِمَيسُورٍ مِنَ القَوْلِ[2]، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ[3]، بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ[4]، فَصَارَ لَهُمْ أباً[5] وصاروا عندَهُ فى الحَقِّ مُتَقارِبين[6]، متفَاضَلِين فيه بالتَّقْوَى[7]، وفى الرِّوَاية الأخرى: صَارُوا عِنْدَه فى الحقِّ سَواء[8]، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ، وَحَياءٍ[9]، وَصَبرٍ، وأمانةٍ، لا تُرْفَعُ فيهِ الأصواتُ[10]، ولا تُؤبَنُ فيه الحرَمُ[11]، ولا تُنْثَى فَلَتَاتُهُ[12] (وهذه الكلمة[13] من غير الرِّوَايتين[14]

---

(١) من سأله حاجة لم يرده إلا بها أى : رده رسول الله ﷺ مقضى الحاجة غير خائب.

(٢) أو بميسور سن القول أى : أو رده بقول لين سهل لا غلظة فيه، كوعده، وقد تقدم بيانه .

(٣) قد وسع الناس بالنصب مفعول وسع .

(٤) بسطه وخلقه بإضافته لضميره، ورفعه على الفاعلية، أى : عمهم بسطه، أى : بسط يده ﷺ، وسماحته، أى : بشره،وطلاقة وجهه، وإبداء سروره، وحسن خلقه، فشبهه بمكان متسع رحب، وأثبت له السعة . والبسط بهذا المعنى مسموع، وليس لغة مولدة كما يتوهم، كما ذكره المصنف ـ رحمه الله ـ فى «المشارق» وتقدم فى الحديث عنه ﷺ : «فاطمة منى يبسطنى ما يبسطها» .

(٥) فصار لهم أبا أى : بمنزلة الأب فى البر، والصلة، وقصد الخير، وفيه دليل على أنه يجوز أن يقال: إنه ﷺ أبو المؤمنين، كما يقال لزوجاته ـ رضى الله عنهن ـ أمهات المؤمنين ولا ينافيه قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] لأن نفى الحقيقة لا ينافى المجاز كما سيأتى .

(٦) وصاروا عنده فى الحق متقاربين أى : يقرب بعضهم من بعض إذا كانوا على الحق، أو فى أداء حقوقهم ، أى : فى أصل الحق، فلا ينافيه قوله :

(٧) متفاضلين فيه بالتقوى أى : بحسب مراتبهم فى تقوى الله، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] وقال ﷺ :

(٨) «أنزلوا الناس منازلهم» وسيأتى فى الرواية الأخرى : وصاروا فى الحق سواء، فلا ينافيه هذه الرواية ولا أن بينهم تفاوتا تاما وفى الحديث : «لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا، فإن تساووا هلكوا» وصاروا كأسنان المشط، ليس فيهم فضلاء أو تنافسوا فى الفضائل، فأنكروا فضل بعضهم على بعض. وما عبر الإنسان عن فضل نفسه كمثل اعتراف الفضل فى كل فاضل : (وفى الرواية الأخرى صاروا عنده فى الحق سواء) كما بيناه .

(٩) مجلسه مجلس حلم وحياء أى : يظهر فيه حلمه عليهم، وحلمه على غيرهم، بحيث لا يستفزه الغضب، وهم مظهرون للحياء، لا يرفعون رؤوسهم وأصواتهم، ولا يرتكبون ما لا ينبغى قولا وفعلا . قيل : ولو قدم هذا ، وأدرجه فى جواب السؤال عن مجلسه كان أحسن . قلت: ما بالعهد من قدم .

(١٠) وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات احتراما له ﷺ، ولو قارهم، وأدبهم .

(١١) ولا تؤبن فيه الحرم كالكبر، جمع حرمة، وهى ما لا يحل، والمراد : النساء، لحرمة النظر لهن ونحوه، أى : لا تذكرن بسوء من ابنته، فابنته إذا ذكرته بما يكره مأخوذ من الابنة والابن، وهى عقد فى القسى تعاب بها، أى : لا تذكر فيه النساء لأنها رفث من القول، أو لا يذكر فيه ما يحرم كالغيبة، وسيأتى تفسيره .

(١٢) ولا تنثى فلتاته بتاء مثناة فوقية مضمومة ونون ومثلثة مقصورة من النثاء: وهو ذكر القبيح ضد الثناء بتقديم المثلثة، وهذا هو الموافق لما سيأتى، وروى ولا يثنى بتقديم المثلثة على النون، أى : لا تعاد . والفلتات، بفتحات جمع فلتة بفتح فسكون، ويجوز تسكين لام فلتات، ويجوز ضم فاء فلتة، كما قاله التلمسانى، وهى : الزلة، أى : القبيح الذى يقع بغتة، والمراد : إنه لا فلتة فيه حتى يذكر فى مجلس آخر، فيعاد ذكرها، فنفى الشىء بذكر لازمه، لأنها لو وقعت ذكرت، كقوله : ولا ترى الضب بها ينجحر .

(١٣) وهذه الكلمة أى : قوله: لا تنثى فلتاته .

(١٤) من غير الروايتين رواية الحسن عن خاله، ورواية الحسين عن أبيه، ويجوز أن يراد ظاهره، أى : أن الفلتة إذا وقعت لا تذكر، بل تستر .

يتَعَاطَفون بالتَّقوى[1]، مُتَوَاضعين[2]، يوقرون فيه[3] الكَبير[4]، وَيرحمُونَ الصَّغير[5] وَيرْفِدُون[6] ذا الحاجة[7]، ويرحمونَ الغريب[8] .فسألْتُهُ عن سيرته ﷺ فى جُلَسائِهِ؟ فقال : كانَ رسول الله ﷺ دائم البِشْرِ[9]، سَهْلَ الخُلُقِ[10]، لين الجانِبِ[11]، لَيسَ بِفَظٍّ[12] ولا غَلِيظٍ[13] ولا سَخاب[14]، ولا فَحَّاشٍ[15]، ولا عَيَّابٍ[16]، ولا مَدَّاحٍ[17]، يتَغَافَلُ عَمَّا لا يَشْتَهِى[18]، ولا يُؤْيِسُ مِنْهُ[19]، قَد تَركَ نَفْسَهُ مِنْ

---

(١) يتعاطفون بالتقوى أى : يعطف بعضهم على بعض، ويشفق عليه، ويرحمه بسبب تقوى الله لا رياء ولا سمعة ولا خوفا، واتقاء شر، فالباء سببية، كقوله تعالى : ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

(٢) متواضعين أى : يتواضع بعضهم لبعض، لا يتكبر أحد على أحد، فيخدمه، ويخفض جناحه له.

(٣) يوقرون فيه أى : فى المجلس .

(٤) الكبير: سناً .

(٥) ويرحمون الصغير شفقة عليه، ورأفة، وهو مفتوح الصاد، ويكسر فى لغة رديئة .

(٦) ويرفدون بفتح المثناة التحتية وضمها، أى : يعينون، ويواسون، يقال : رفده يرفده بالكسر،وأرفده بمعنى.

(٧) ذا الحاجة أى : كل من كانت له حاجة، ومسألة لهم أو له ﷺ أعانوه بقضائها، أو إبلاغها، أو الشفاعة، ويجوز أن يراد به الفقير المحتاج .

(٨) ويرحمون الغريب أى : يشفقون عليه، ويعطفون تأنيسا له، وإزالة لوحشة غربته، قال الحسين :

(٩) فسألته عن سيرته ﷺ فى جلسائه، فقال : كان ﷺ دائم البشر أى : طلاقة الوجه، وبشاشته، وإظهار السرور فى مجالسه العامة، وهذا لا ينافى ما مر من قوله : دائم الأحزان، كما مر، فتذكره .

(١٠) سهل الخلق أى : خلقه، وسجيته السهولة، وعدم الشدة فى أقواله وأفعاله، وقد جاء رسول الله ﷺ بالملة السمحة السهلة .

(١١) لين الجانب بتشديد الياء وسكونها، أى : لا غلظة فيه، ولا جفاء، متذللا، متواضعا .

(١٢) بفظ: الفظ : سيئ الخلق .

(١٣) غليظ أى : شديد متوعد لأحد، ممسك عنه لطفه، ورفده .

(١٤) ولا سخاب: بالصاد والسين، أى : لا يرفع صوته جدا فى خصومة ونحوها .

(١٥) ولا فحاش أى : لا يتكلم بقبيح، كالشتم .

(١٦) ولا عياب: أى : ذكر العيوب بالناس، ونقائصهم .

(١٧) ولا مداح أى : لا يكثر المدح لغيره، ويطريه بمبالغة قوة ما فيه، وإن كان يذكر الحسن والقبيح بما فيه كما مر، وذكر هذه بصيغة المبالغة إشارة إلى أنه قد يصدر قليلها أحيانا منه ﷺ لمقتضى الحال، ومثله لايعاب، والمدح : إنما يذم إذا كان زيادة عن حده لأنه كذب ومداهنة، وأما مدح من يستحق المدح بما إذا لم يلزمه محذور فأمر حسن، ألاترى إلى قوله ﷺ : «لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالم لرجح» وقوله لعمر ﷺ : «لو بعث نبى بعدى لبعثت أنت يا عمر» فأى مدح يزيد على هذا؟! لكنه صدق ناشئ عن بصيرة، ولا يورثهم ذلك إعجابا، ولا فتورا، وما من شيء إلا وهو ممدوح من وجه مذموم من آخر.

(١٨) يتغافل عما لا يشتهى: أى : يتغافل عما ليس بمنكر شرعا، لكنه غير مستحسن عادة أو طبعا، إذ لو كان منكرا شرعا نهى عنه، ولم يقر عليه، وهذا من مكارم الأخلاق، كما قال أبو فراس :

ليس الغبى بسيد فى قومه ... لكن سيد قومه المتغابى

(١٩) ولا يؤيس منه: قال فى «المقتفى» : يؤيس بضم أوله وسكون الواو وهمزة مكسورة، وهى ترسم ياء، ويجوز فتحها على أنه مبنى للفاعل أو المفعول، وهو من اليأس، ضد الرجاء، يعنى : إذا سئل =

ثَـلاثٍ[1] : الرِّيـاء، والإكثـارِ، ومـا لا يعنيـه[2]، وتَـركَ النَّـاس مِـنْ ثلاثٍ[3] : كانَ لا يذُمُّ أحداً[4]، ولا يعَيِّرُه[5] ولا يطلبُ عَوْرَتَه[6]، ولا يتكَلَّمُ إلا فيما يرْجو ثَوابَـه[7] إذا تكلـَّمَ أطْرَفَ جُلـسَاؤهُ[8]، كـأنَّما عـلى رُؤُوسـهِم الـطَّيرُ[9]، وإذا سـكتَ : تَكَلَّمـوا[10]، لا يتَنـازَعون عِنْـده الحـديثَ[11] مـن

=رسول الله ﷺ عما لا يليق تغافل عنه، ولم يرد السائل حتى ييأس، أو يبين له أنه سأل ما لا يليق، فيخجل سائله .

(١) وقد ترك نفسه من ثلاث: أى : نزهها عنه، ومنعها، وقيل فيه : قلب، أى ترك ثلاثا من نفسه .

(٢) الرياء والإكثار وما لا يعنيه بفتح المثناة التحتية، أى : يهمه، وهى بدل من ثلاث مبينة لها والرياء: إظهار ما فيه من الصفات الحميدة والأفعال الجميلة للناس حتى يحمد بها، ويشيع، وهو الشرك الأصغر، وهو ﷺ منزه عنه بلا شبهة . فإن قلت : كونه غير ثابت له أمر ظاهر الانتفاء عنه، فما الحاجة لذكره؟

قلت : كأنه ذكر هذه الجملة الحالية لبيان وجه تغافله عما لا يحبه ، من غير أن يقنط راجيه، يعنى : إنه لم يقل أنا لا أحب هذا، فلذا لم أجبك عنه، حتى يتوهم أنه سيفعله لما فيه من الرياء، ولذا قال :

(٣) وترك الناس من ثلاث أى: أبعدهم عنها، أو ترك ذكر الناس، ونحوه من أجل ثلاث تضمنها قوله :

(٤) كان لا يذم أحدا من الناس يستحق الذم كالمنافقين لعنهم الله .

(٥) ولا يعيره بعين مهملة، يقال: عيره كذا أو بكذا، أى : ذكر ما فيه بما هو عار عليه وعيب فيه قد سلف منه، فالفرق بينه وبين ما قبله أنه أخص منه، وليس عينه حتى لا تكون أمور الناس المتروكة أربعة، كما ذكره التلمساني ـ رحمه الله تعالى .

(٦) ولا يطلب عورته أى : لا يتجسس عن معايب الناس، ويبحث عنها، كما كان ﷺ يفعل مع المؤلفة قلوبهم، وأصل العورة : الخلل، وما يجب ستره، كما فى حديث أبى داود : «يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لاتؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته» . وهذا كما قيل فى المثل : كل من عيَّر ابتلى، وهذا إذا لم يلزم إظهاره شرعا كالمتجاهر بفسقه ونفاقه، وقوله :

(٧) ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه صفة أخرى مرتبطة بما قبلها، وليست من الثلاث، وهذا كنصيحة الأمة، وإرشادهم، وتعليم الخير والتبليغ .

(٨) إذا تكلم أطرق جلساؤه أى : خفضوا رؤوسهم تأدبا وإنصاتا .

(٩) كأنما على رؤوسهم الطير أى: بسكون ووقار من غير طيش وخفة؛لأن الطير لا تقع إلا على ساكن، وهذا مثل مشهور .

(١٠) واذا سكت تكلموا فلا يقطعون حديثه بحديثهم تأدبا معه ﷺ وتوجها لفهم مقاله لحرصهم على حفظه، مراعاة لعظيم قدره.

(١١)لا يتنازعون عنده الحديث أى : إذا كانوا فى مجلسه ﷺ لا يديرون الحديث بينهم، فحدث بعضهم بعضا، كما هو جار بين الناس إذا اجتمعوا فى ناد، وهذا بيان لقوله : تكلموا أو أن المراد يتكلمون مع النبىﷺ بسؤالهم له، ونحوه من مهماتهم؛ لأنهم يديرون الحديث بينهم، وهذا هو معنى تنازع الحديث فى كلامهم، ومن فسره بالتخاصم لاغتراره بظاهر التنازع لم يصب، لعدم مناسبته للمقام، ولا يخفى أنه لا معنى لقولك : تخاصموا الحديث، إلا بتأويل، أى : تخاصموا فى الحديث، وهو ركيك، قال امرؤ القيس :

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت هصرت بغصن ذى شماريخ ميال

قال ابن السيد فى «شرح أدب الكاتب» : تنازعنا الحديث، أى: تداولناه، فحدثنى مرة، وحدثتها أخرى، وها هنا بحث، وهو أن سيبويه قال فى كتابه :لا تقول : تفاعلت إلا وأنت تريد=

تكلَّم عِنْدَه[1] أنْصَتوا له، حتَّى يفْرُغَ[2] مِنْ كلامَهِ[3]، حَدِيثُهُم حدَيثُ أوَّلهم[4] يضْحَكُ[5] ممَّا يضْحَكُونَ مِنْهُ[6]، ويتَعَجَّبُ ممَّا يتَعَجَّبونَ مْنهُ[7] وَيصْبر للغْرَيب على الجَفْوة[8] فى المنطق[9]، وَيقولُ[1]: إذا

=فعل اثنين فصاعدا، ولا يجوز أن يتعدى لمفعول ينصبه، وفى تفاعلنا تلفظ بالعين الذى فى فاعلته كتضاربنا وتقاتلنا، وقد يجيء تفاعلت على غير هذا كتقاضيته، انتهى . فلم يجز تعدى تفاعل لمفعول إلا إذا كان لواحد لأن تفاعل قد تضمن الفاعل والمفعول الذى كان فى فاعل الإتراك، تقول: ضاربنى زيد، فتأتى بفاعل ومفعول، فإذا قلت : تضاربنا لا يتعدى لاشتماله على فاعل ومفعول ليس لنا غيره، وليس تنازعنا كذلك؛ لأن نازع يتعدى لمفعولين، تقول : نازعته الحديث، فإذا قلت: تنازعنا لم يكن بد من ذكر المفعول الثانى، لأن تنازع لم يتضمنه، كذا قاله ابن السيد فى «المقتضب شرح أدب الكاتب» .

أقول : فى كلام سيبويه حينئذ قصور؛ لأنه كان عليه أن يقول : إن باب تفاعل بمعناه الأصلى ينقص عن فاعل مفعولا، فإن كان متعديا لواحد كان لازما، وإن كان متعديا لاثنين تعدى كما ذكره بعض النحاة فإطلاقه لا ينبغى، وقد نقل ابن السيد هذا فى محل آخر عن الكوفيين، فقال : قال ثعلب : يقال فلان متعهد ضيعته، ولا يقال متعاهدها، قال ابن درستويه: إنما أنكرها لأنها على وزن يتفاعل، وهو عند أصحابه لا يكون إلا من اثنين، ولا يكون عندهم متعديا لمفعول، مثل : تقاتلا، وتعاملا، وهو غلط؛ لأن تفاعل قد يكون لواحد، ويكون متعديا كقول امرئ القيس :

تجاوزت أحراساً وأهوال معشر على حراص لو يسرون مقتلى

وجاء تفاعل متعديا لاثنين كقوله: فلما تنازعنا الحديث...إلخ، قال الخليل : التعاهد والتعهد : الاحتفاظ بالشىء وإحداث العهد به، وقول سيبويه السابق يشبه قول الكوفيين، انتهى. والتنازع هنا كالتجاذب مجاز بديع، كقوله ﷺ لمن قرأ خلفه : «ما لى أنازع القرآن؟!» .

(١) من تكلم عنده أى : فى مجلسه ﷺ من الصحابة، أو غيرهم .

(٢) أنصتوا له حتى يفرغ: من حديثه، وفى بعض النسخ .

(٣) من كلامه وأنصت يكون لازما بمعنى سكت، ومتعديا، يقال : أنصته، إذا أسكته .

(٤) حديثهم حديث أولهم مبتدأ وخبر، أو حديثهم فاعل يفرغ، فجمع الضمير، وهو من رعايته للمعنى، وحديث أولهم بدل منه، أى : لا يقطع كلام من تقدم بكلام آخر، ولا يخاصم، فهذا فى معنى لا يتنازعون، وهو مرتبط بما قبله، فإن كان مبتدأ بدليل رواية : من كلامه، فهو تشبيه، أى : حديث كل واحد منهم إنما هو حديث من قبله، يعنى : أنه لا حديث له معه يقطعه، كقوله ﷺ : «ذكاة الجنين ذكاة أمه»وقد خفى هذا على بعض الشراح فعلقوه بأنصتوا .

(٥) ويضحك ﷺ .

(٦) مما يضحكون منه أى : الصحابة ـ رضى الله عنهم .

(٧) ويتعجب مما يتعجبون: لأنه من حسن الصحبة أن يسرك ما يسره، ويرضيك ما يرضيه، وهم على نهج واحد، وطبائعهم سليمة، فلا يضحكون، ويعجبون من غير مقتض، فلا يقال : إنه يلزم من ضحك أحد وتعجبه فعل غيره مثله؛ لأنه أمر طبيعى، وهذا فى أحيان قليلة، فلا ينافى قوله السابق : «كأنما على رؤوسهم الطير» .

(٨) ويصبر للغريب على الجفوة: أى : الغلظة، وتكلمه بما يؤلم .

(٩) فى المنطق أى: فى تكلمه مع النبى ﷺ كتحليف الأعرابى له ﷺ وقوله له : آلله أرسلك بهذا؟ وإنما قيل بالغريب لأنه معذور لا يعرف أحواله، وهذا من مكارمه ومعاملة كل أحد بما يليق به، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم .

رأيتم صاحب الحاجةٍ يطلُبُها، فأرْفدُوهُ[٢] ولا يطْلُب الثَّناءَ[٣] إلاَّ من مُكَافئ[٤]، ولا يقْطَعُ على أحدٍ حديثَهُ حَتَّى يتَجوَّزَه[٥]، فَيقْطَعَه بانتهاء[٦] أو قيامٍ[٧] هُنا انتهى حديث سُفْيان بن وَكِيع[٨]، وزادَ الآخرَ[٩] :

قُلتُ[١٠] : كيفَ كَانَ سُكُوتُهُ ﷺ؟ قال : كان سُكُوتُهُ عَلَى أرْبَعٍ : على الحِلْم، والحَذَرِ، والتَّقْديرِ، والتَّفكُّر[١١]، فَأماتقديره[١٢] : فَفي تسويةِ النَّظر[١٣] والاستمتاعِ[١٤] بينَ الناس[١٥]. وأَمَّا تَفكرُهُ : ففيما يبْقى، ويفْنى[١٦] وجُمِعَ[١٧] لَهُ[١٨] الحِلْمُ ﷺ في الصَّبْر[١٩]، فكانَ لا يغْضبُه شَيء[٢٠] يسْتَفِزه[٢١]، وَجُمِعَ لَهُ في

---

(١) ويقول: ﷺ لأصحابه .

(٢) إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه بوصل الهمزة وقطعها، من رفده، وأرفده، إذا أعانه، وأعطاه، لأن الرفد العطية، والإرفاد : الإعانة، وكل منهما قابل هنا .

(٣) ولا يطلب الثناء: بمعنى يقبله، كما ورد في رواية، فهو مجاز مرسل، أو استعارة، والثناء : الذكر الحسن الجميل والمدح .

(٤) إلا من مكافئ بالهمزة، اختلف في تفسيره، أي : ممن أثنى جزاء على نعمة وإحسان تقدم له منه، وقد صرح به في بعض الروايات بقوله : عن يد، ولا يرد عليه أن النبي ﷺ رحمة عامة، مامن أحد إلا وله عنده يد ، فالصواب تفسيره بمسلم، أي : غير متجاوز في المدح، مطر، لأن القرينة قائمة على أن المراد نعمة حادثة خاصة .

(٥) ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه أي : يخففه، يقال : تجوز في الصلاة، إذا أسرع، وخفف .

(٦) فيقطعه بانتهاء أي : إتمام لحديثه، وبه ينقطع الكلام .

(٧) أو قيام من المجلس؛ لأنه انقطع كلامه . فمضى لشأنه .

(٨) هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع السابق ذكره .

(٩) وزاد الأخرى أي : صاحب الرواية الأخرى .

(١٠) قلت القائل أحد السبطين ـ رضي الله عنهما ـ كما مر .

(١١) كيف كان سكوته ﷺ؟ قال : سكوته على أربع على الحلم والحذر، والتقدير والتفكر لما كان الحلم والحذر من جميع الناس معلوما، وقد تقدم، لم يفسره، وقال :

(١٢) فأما تقديره أي : بم ينظر مقداره إذا صدر منه، أو من غيره ممن يقتدى به .

(١٣) ففي تسوية النظر في الأمور، وما يترتب عليها من المنافع الدنيوية والأخروية .

(١٤) والاستمتاع أي: استمتاع الناس به ﷺ، أو بأمورهم فيما بينهم، ومعنى الاستمتاع: الانتفاع، وقوله:

(١٥) بين الناس متعلق بالتسوية، وهي جعلهم متساوين، وليس المراد تساويهم حقيقة، بل أن يكون لكل أحد مقادر يليق به .

(١٦) وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى أي : في أمور الدنيا الفانية والآخرة الباقية المخلدة .

فإن قلت : كيف يعلم هذا وهو أمر مضمر في نفسه ﷺ لا يطلع عليه إلا الله؟

قلت : هذا بطريق الاستدلال العقلي والفراسة الصادقة، الشاهد لها ما يظهر من آثاره، ويتعلق به إذا تكلم، فإن الظاهر عنوان الباطن .

(١٧) وجمع بالبناء للمفعول، أي : جمع الله .

(١٨) له وكذا ما سيأتي بعده الحلم باللام، أي : جمع له سائر جزئيات الحلم، المختص كل حليم ببعض منه، وفي بعض النسخ : الحكم بالكاف، وله وجه .

(١٩) في الصبر أي : مع الصبر على أمور الناس والأمة، فكان رسول الله ﷺ مع حلمه صابرا لا يضجر، ولا يقلق، كما أشار إليه بقوله :

(٢٠) فكان لا يغضبه شيء مما يتعلق به في نفسه، وإن كان قد يغضب لله .

(٢١) ولا يستفزه بكسر الفاء وتشديد الزاي المعجمة، أي : يستخفه بحيث يبدو منه خفة لأمور الدنيا والأعداء.

الحَذَرِ[1] أَرْبَعٌ[2]: أَخْذُهُ بِالحَسَنِ[3] لُيُقْتَدَى بِه[4]، وَتَرْكُهُ القَبيحَ[5] لينتهَى عَنه[6]، واجتهادُ الرَّأى[7] بِما أصلَحَ أَمَتَّهَ[8]، والقِيام لَهُمْ[9] بِمَا جَمَعَ لَهُمُ أمرَ الُدنْيا والآخِرَةِ[10]. انتهى الوصف بِحمدِ الله وعونه .

١٦ـ تعويد الطفل عدم التقدم على النبى ﷺ لا بالقول ولا بالفعل :

روى البخارى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه كان مع رسول الله ﷺ فى سفر، فكان على بكر (أى : جمل) صعب، وكان يتقدم النبى ﷺ، فيقول له أبوه : لا يتقدم النبى ﷺ أحد، فقال له النبى ﷺ : «بعنيه» فقال عمر : هو لك يارسول الله!، فقال النبى ﷺ : «هو لك يا عبد الله بن عمر!، فاصنع به ما شئت» .

فمن واجب الأب أن يعلم أبناءه الاحترام والتوقير لرسول الله ﷺ فى كل شىء، فلا يرفع الابن صوته عندما يسمع حديث رسول الله ﷺ يتلى ويقرأ فى المجلس أو الدرس أو البيت، ويعلم الابن كذلك الطهارة لقراءة أو سماع حديث رسول الله ﷺ أدبا معهﷺ . ويتعلم أن يقول : سمعا وطاعة لرسول الله ﷺ . فإذا فعل الطفل ذلك بشر بحب رسول الله ﷺ له، وإذا كان رسول الله ﷺ قد كافأ عبد الله بن عمر الجمل،

---

(١) وجمع له فى الحذر أى : فى حال حذره، واحتراسه من الناس، أو مع ذلك .
(٢) أربع نائب الفاعل .
(٣) أخذه بالحسن وفى بعض النسخ : ترك قوله: أربع، وهو مرفوع نائب الفاعل، أو منصوب مفعول لأجله، أى : تمسكه بكل أمر مستحسن مشروع .
(٤) ليقتدى به ويتبعه الناس .
(٥) وتركه القبيح شرعا، وخلاف الأولى .
(٦) لينتهى عنه علة للترك، أى : لينتهى الناس عنه .
(٧) واجتهاد الرأى أى : اجتهاده ﷺ فيما يراه رأيا .
(٨) بما أصلح أمته: أى : فيما يصلحهم، أو بسببه .
(٩) والقيام لهم: أى : الأمة .
(١٠) بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة: فى المعاش والمعاد، ومعنى القيام : التعاهد،والالتزام، والاجتهاد، وبذل ما فى وسعه وطاقته من إصلاحهم، أو هو بمعناه المصطلح، بناء على جواز اجتهاده ﷺ،وفيه اختلاف مذكور فى كتب الأصول، قال الأبى فى «شرح مسلم» نقلا عن المصنف : لا خلاف أنه ﷺ كان يجتهد فى أمور الدنيا، ويرجع إلى رأى غيره فى ذلك، كما فعل فى تلقيح النخل، واختلف فى أنهﷺ : هل له أن يجتهد فى الشرعيات، وهل هو معصوم فى اجتهاده أم لا؟ الصواب : أن له ذلك لأنه معصوم وتفصيله فى أصول الفقه فلا حاجة للتطويل به .

فإن مكافأة رسول الله ﷺ لمن يلتزم محبته وتوقيره من الأطفال يوم القيامة الشفاعة والقرب منه ﷺ .

١٧ـ تعليم الطفل الاستجابة للأذان ثم الصلاة على النبى ﷺ عقب الأذان ثم دعاء الوسيلة :

روى مسلم والترمذى والنسائى وأبو داود والإمام أحمد كلهم عن الصحابى الصغير عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ أنه سمع النبى ﷺ يقول : «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة، صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة، لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة» .

١٨ـ تعليم الطفل التشهد فى الصلاة والصلوات الإبراهيمية :

روى مسلم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد، كما يعلمنا السورة من القرآن، فكان يقول : التحيات المباركات، الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله وفى رواية كما يعلمنا القرآن . ورواه الترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد .

الأساس العقدى الرابع : تعليم الطفل القرآن الكريم :

القرآن الكريم مصدر العقيدة الإسلامية، على مدار الزمان وإلى يوم القيامة، وكتب العقيدة بحثت فى أمور عقدية حسب المشاكل التى تثار فى كل عصر، ولهذا فإن ربط قلب الطفل بالقرآن وتغذيته به، يعنى ربطه بالكلام المعجز، مما يزيده قوة

عقدية، وقوة فكرية، والقرآن تنقسم معانيه لموضوعين اثنين :

١ ـ **العقيدة** : هى كل ما أخبر القرآن فيه عن الغيب : الإيمان بالله تعالى وصفاته، واليوم الآخر، والملائكة، والجن، والقبر، وقصص الأنبياء والرسل السابقين، فكل الإخبارات القرآنية هى عقيدة إسلامية .

٢ ـ التشريع: وهو كل أمر ونهى ورد فى القرآن ، فإنما يمثل تشريعا، وهذا التشريع الذى دليله القرآن يعتبر من العقيدة لأن الآمر والناهى فيه هو الله تعالى، وأما استنباط الحكم الشرعى من الأمر والنهى، فهو تشريع .

فترسيخ معانى القرآن فى الطفل، وربطه بالقرآن، تبنى فى نفسه العقيدة الإسلامية، وتعليم الطفل التحاكم إلى القرآن يبنى فيه العقلية الإسلامية، التى تساعده على معرفة الحق من الباطل، والكفر من الإيمان .

فمثلا : نظرية دارون أن أصل الإنسان قرد، تعاكس ما جاء فى القرآن: أن الله تعالى خلق آدم فى الجنة، ثم أهبطه إلى الأرض، فالإيمان بما أخبر القرآن يمثل عقيدة، ومحاكمة نظرية دارون وفق القرآن يمثل بناء العقلية الإسلامية فى الطفل .

و«ينبغى لولى الصغير والصغيرة أن يبدأ بتعليمهما القرآن، منذ الصغر، وذلك ليتوجها إلى اعتقاد أن الله تعالى هو ربهم، وأن هذا كلامه تعالى، وتسرى روح القرآن فى قلوبهم، ونوره فى أفكارهم، ومداركهم، وحواسهم، وليتلقيا عقائد القرآن منذ الصغر، وأن ينشآ ويشبا على محبة القرآن ، والتعليق به، والائتمار بأوامره، والانتهاء عن مناهيه، والتخلق بأخلاقه، والسير على منهاجه .

قال الحافظ السيوطى : تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشؤون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية والضلال [١] .

---

(١) نقلا عن : تلاوة القرآن المجيد للشيخ عبد الله سراج الدين .

وأكد ابن خلدون[1] هذا المفهوم بقوله : تعليم الوالدين للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم، لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان، وعقائده، بسبب آيات القرآن، ومتون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم، الذى ينبنى عليه، ما يحصل بعد من الملكات .

كذلك قال ابن سينا[2] : «فإذا تهيأ الصبى للتلقين، ووعى سمعه، أخذ فى تعليم القرآن، وصورت له حروف الهجاء، ولقن معالم الدين» .

١ـ ما ورد فى تعليم الأطفال القرآن الكريم :

أخرج الطبرانى وابن النجار عن على ـ كرم الله وجهه ـ أن النبى ﷺ قال : «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن فى ظل عرش الله، يوم لا ظل إلا ظله، مع أنبيائه وأصفيائه»[3] .

وروى الحاكم ـ بسند ضعيف[4] ـ عن أبى ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله ختم سورة البقرة بآيتين، أعطانيهما من كنزه الذى تحت العرش، فتعلموهن، وعلموهن نساءكم، وأبناءكم، فإنها صلاة وقرآن ودعاء» .

وذكر الحافظ ابن عساكر واسنده ـ كما فى تفسير ابن كثير ـ إلى أبى ظبية قال : مرض عبد الله (بن مسعود) ﷺ مرضه الذى توفى فيه، فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشتكى؟ قال : ذنوبى، قال : فما تشتهى؟ قال : رحمة ربى، قال : ألا آمر لك بطبيب؟ قال : الطبيب أمرضنى، قال : ألا آمر لك بعطاء؟ قال : لا حاجة لى فيه، قال : يكون لبناتك من بعدك، قال : أتخشى على بناتى الفقر؟ إنى أمرت بناتى يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا»[5]. وقال ابن كثير فى تفسيره : وكذا رواه أبو يعلى .

---

(١) فى مقدمته (ص٣٩٧) .
(٢) فى كتاب : السياسة باب: سياسة الرجل ولده .
(٣) ورمز السيوطى لضعفه فى الجامع الصغير . انظر : فيض القدير للمناوى (١/ ٢٥) .
(٤) انظر : ضعيف الجامع (١٦٠١) .
(٥) رواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة برقم (٦٨٥) وأبو عبيد فى كتاب فضائل القرآن ص ٢٥٧.

وكان من حرص الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فى توجيه أبنائهم دقة الملاحظة فى مراقبة أفعال أطفالهم مع القرآن، وحكاية ذلك للنبى ﷺ، للتعرف على ما ينفع أطفالهم :

أخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو : أن رجلا جاء بابن له فقال : يارسول الله، إن ابنى يقرأ المصحف بالنهار، ويبيت الليل، فقال رسول الله ﷺ : «ما تنقم أن ابنك يظل ذاكرًا، ويبيت سالماً»(١) .

بل إن القرآن الكريم أنزله الله تعالى للكبير والصغير، والذكر والأنثى :

فعن أبى بن كعب ﷺ قال : لقى رسول الله ﷺ جبريل، فقال : «يا جبريل، إنى بعثت إلى أمة أميين، فيهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام والجارية، والرجل الذى لم يقرأ كتابا قط» قال : «يا محمد، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف» . رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

فبين الرسول ﷺ أنه بعث للصغير كما بعث للكبير، فمما يسره الله ـ تعالى ـ على العرب أن أنزل كتابه على سبعة أحرف ولهجات عربية، وذلك حتى لا يصعب على الصغير تعلمه، ولا يجد الكبير حرجا فى قراءته، وما ذلك إلا رحمة من الله ـ تعالى، وتيسيرًا لعباده .

وانطلق الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يعلمون أبناءهم القرآن، استجابة لتوجيهات النبى ﷺ : فعن مصعب بن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنهما ـ عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «خياركم من تعلم القرآن وعلمه» . قال : وأخذ بيدى فأقعدنى مقعدى هذا أقرأ . رواه أبو يعلى فى مسنده (٢/ ١٣٦) بسند ضعيف، إلا أن متن الحديث صحيح، رواه أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه والدارمى .

---

(١) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢/ ٢٧٠) : وفيه ابن لهيعة، وفيه كلام .

ونرى نصح الصحابة للناس بهذا القرآن، وتنشئة أطفالهم على حبه وتلاوته، فقد ذكر ابن كثير فى تفسيره : أن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال لرجل :ألا أتحفك بحديث تفرح به؟ قال : بلى، اقرأ «تبارك الذى بيده الملك» وعلمها أهلك، وجميع ولدك، وصبيان بيتك، وجيرانك، فإنها المنجية، والمجادلة، تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار، وينجو بها صاحبها من عذاب القبر، قال رسول الله ﷺ : «لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمتى»[1] .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ : عليكم بالقرآن، فتعلموه، وعلموه أبناءكم، فإنكم عنه تسألون، وبه تجزون، وكفى به واعظا لمن عقل[2] .

قال عبد الله بن مسعود ﷺ : «جردوا القرآن ، ليربو فيه صغيركم، ولا ينأى عنه كبيركم، فإن الشيطان يفر من البيت يقرأ فيه سورة البقرة»[3] .

وشرحه الزمخشرى فى كتابه الفائق بقوله : «أى : خصوا القرآن بأن ينشأ على تعلمه صغاركم، وبألا يتباعد عن تلاوته وتدبره كباركم، فإن الشيطان لا يقر فى مكان يقرأ فيه» [4] .

فإن شاهد الطفل والديه يقرؤون القرآن اقترب منهم، وأراد أن يشاركهم، وإذا رآهم ينصتون للقرآن بخشوع خشع معهم، وإذا شاهدهم يحفظون القرآن ويتذاكرانه، حفظ معهم، وهكذا يشب الطفل مع والديه، وقد طبع فى نفسه ما رآه فى البيت .

---

(١) وروى أبو الشيخ باسناد حسن مرفوعا: «سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر» وفى رواية الترمذى، وقال : حديث حسن صحيح : «هى المانعة، هى المنجية تنجيه من عذاب القبر» . انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١١٤٠) .

(٢) رواه أبو عبيد بن سلام بسنده فى كتابه فضائل القرآن تحقيق : مروان العطية ورفيقيه، طبع دار ابن كثير، ص(٥٣) .

(٣) المصدر السابق ص(٧٦) .

(٤) المصدر السابق ص(٧٦) هامش التحقيق .

ومن شدة حرص الصحابة على ارتباط أطفالهم بالقرآن، وحصول بركة القرآن لأولادهم : تحين أوقات نزول هذه البركات القرآنية، ليحضرها أطفالهم . روى الطبرانى عن أنس بن مالك ﷺ أنه كان إذا ختم القرآن، جمع أهله، وولده، فدعا لهم[1] .

وهذا ابسن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يتفاخر أنه قرأ المحكم على عهد رسول الله ﷺ، وهو طفل صغير، فقد ذكر ابن كثير فى فضائل القرآن، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم .

وروى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : إن أم الفضل سمعته وهو يقرأ: ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾ فقالت : يابنى، والله لقد ذكرتنى بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها فى المغرب ورواه الثمانية .

بل إن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يسأل عن الجهاد فى سبيل الله، فيجيب السائل : ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد : تبنى مسجداً تعلم فيه القرآن وسنن النبى ﷺ، والفقه فى الدين[2] .

فتعليم القرآن للأطفال قاعدة إيمانية أسس عليها النبى ﷺ أطفال الصحابة رضوان الله عليهم، وتابعه على ذلك صحابته الكرام والتابعون إلى يومنا هذا ، ولله الحمد، والفضل، والمنة .

وإن قراءة الأطفال للقرآن سبب فى رفع البلاء والعذاب عن الأسرة، والمجتمع، فعن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : «إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب، حكما مقضيا، فيقرأ الصبى من صبيانهم فى المكتب : «الحمد لله رب العالمين»، فيسمعه الله تعالى، فيرفع عنهم بسببه العذاب أربعين سنة»[3] .

---

(١) رجال الحديث ثقات، قاله الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٧٢) .

(٢) انظر : جامع العلم وفضله لابن عبد البر(١/ ٦٢) .

(٣) التفسير الكبير للرازى(١/ ١٧٨) . ورواه الدارمى فى سننه، باب تعاهد القرآن، عن ثابت بن عجلان الأنصارى قال : «كان يقال : إن الله ليريد العذاب بأهل الأرض، فإذا سمع تعليم الصبيان الحكمة، صرف ذلك عنهم» قال مروان شيخ الدارمى : يعنى بالحكمة : القرآن .

وأما السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ فقد ساروا المسار نفسه، ومشوا الطريق نفسه، فقد جاء فى مقدمة كتاب المعلمين لابن سحنون : أن القاضى الورع عيسى بن مسكين كان يقرئ بناته وحفيداته .. قال عياض : فإذا كان بعد العصر دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم، وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية ـ أسد بن الفرات ـ بابنته أسماء التى نالت من العلم درجة كبيرة[1] .

وتعلم الطفل القرآن وهو صغير يؤهله لأن يكون مبدعا فى سن مبكرة على التأليف، والتصنيف، والابتكار، ونفع الأمة بعلومه، فهذا الإمام الحافظ ابن الجزرى يقول فى كتابه : «النشر فى القراءات العشر» (١/ ٢٠٩) وهو يتحدث عن كتابه «التمهيد فى التجويد» يقول عنه : «وهو (أى : كتاب التمهيد) مما ألفناه حال اشتغالنا بهذا العلم فى سن البلوغ» .

وإذا كانت شهادة الدكتوراه ينالها الطالب فى عصرنا الحاضر وعمره يقترب من الثلاثين فى أحسن الأحوال، فإن علماء الأمة السابقين تصدروا للتدريس والتأليف وهم دون سن العشرين، وانظر إلى ترجماتهم فى كتب الترجمة، فإنك ستجد صدق ما ندعيه، وما ذلك إلا لتلقيهم القرآن حفظا، وفهما مما ساعدهم على قوة الاستذكار، وتوسيع ذاكرتهم، وقوة نضجها ، وسرعة التقاطها للمعلومات .

وفى أثناء تعليم الطفل القرآن لابد للأب أو المدرس أن يلتزم بتوجيهات القرآن، وذلك أدعى للتاثير فى الطفل، وأقوى على ربط المعلومة بالواقع التنفيذى :

روى مسلم عن إبراهيم بن يزيد التيمى قال : كنت أقرأ على أبى القرآن فى السدة (وهى المواضع التى حول المسجد وليست منه)، فإذا قرأت السجدة، سجد، فقلت له : يا أبت، أتسجد فى الطريق؟ قال : إنى سمعت أبا ذر ﷺ يقول : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض؟ قال : «المسجد الحرام» قلت : ثم أى؟ قال : «المسجد الأقصى»، قلت : كم بينهما؟ قال : «أربعون عاما، ثم الأرض

(١) من تربية الأولاد (٢/ ١٦٧) .

لك مسجد، فحيثما أدركتك الصلاة فصل» .

٢ ـ أقوال السلف الصالح بتعليم الأولاد القرآن الكريم [١] :

عن عبد الرحمن بن زبيد، عن اليامى، عن أبيه، قال : إن لله شيئا يعرف به الملائكة غضبه، فإذا غضب ارتج العرش كهيئة الدخان، فربما كان ذلك، وربما سكن، فإذا سكن، قالت الملائكة ـ بعضها لبعض : هذا بتعليم الولدان القرآن فى المساجد .

وعن عبد الله بن عيسى قال : لا تزال هذه الأمة بخير ما تعلم ولدانها القرآن . وعن ثابت بن العجلان قال : إن الله عز وجل ليريد أهل الارض بالعذاب، فإذا سمع أصوات الصبيان يتعلمون الحكمة صرفه عنهم، قال مروان : الحكمة : القرآن .

وعن الضحاك بن قيس قال : أيها الناس، علموا أهاليكم القرآن، فإنه من كتب الله عز وجل له من مسلم أن يدخل الجنة من ذكر أو أنثى أتاه ملكان فاكتنفاه فقالا له : اقرأ، وارتق فى درج الجنة حتى ينزلاه حيث بلغ علمه من القرآن .

وقال سعيد بن العاص ﷺ كان عمره عند وفاة النبى ﷺ تسع سنين : إذا علمت ولدى القرآن، وحججته وزوجته، فقد قضيت حقه، وبقى حقى عليه .

وعن زبيد قال : كان أحب الناس إلى النبى ﷺ من تعلم القرآن وعلمه . وعن عبد الجبار أبى خبيب الكرابيسى قال : كان معنا ابن لأيوب السختيانى فى الكتاب، فحذق الصبى، فأتينا منزلهم، فوضع له منبر، فخطب عليه، ونهبوا علينا الجوز، وأيوب قائم على الباب، يقول لنا : ادخلوا . وهو خاص لنا (أى : أدخلهم خصوصية أصدقاء ابنه فى الكُتَّاب) .

---

(١) نورد هنا من كتاب العيال لابن أبى الدنيا (١/ ٤٧٨) باب : تعليم الأصاغر القرآن . تحقيق : د . نجم خلف .

وعن يونس قال : حذق ابن لعبد الله بن الحسن بن أبى الحسن (على كرم الله وجهه) فقال عبد الله : إن فلانا قد حذق، فقال الحسن بن على ـ رضى الله عنهما : كان الغلام إذا حذق قبل اليوم، نحروا جزورا، وصنعوا طعاما للناس .

وما ذلك إلا لشدة فرحهم بحذق ولدهم للقرآن .

وأما عن إكرام الصحابة لمعلم ولدهم القرآن :

فقد قال الحسن بن واصل بن الحسن : كان المهاجرون يعرفون حق معلمى أبنائهم .

٣ ـ أجر الوالدين فى تعليم الطفل القرآن الكريم :

روى الحاكم من رواية بريدة قوله ﷺ : «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به، ألبس والداه يوم القيامة تاجا من نور، ضوؤه مثل الشمس، ويكسى والداه حلتين، لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان : بم كسينا هذا؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن»(١) . وأخرج أبو داود عن سهل بن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من قرأ القرآن، وعمل به، ألبس الله والديه تاجا يوم القيامة، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس»(٢). وروى الدارمى فى سننه ـ بسند حسن ـ عن وهب الذمارى قال : «فإذا كان يوم القيامة قيل: أين الذين كانوا يتلون كتابى، لم يلههم اتباع الأنعام، فيعطى الخلد والنعيم، فإن كان أبواه ماتا على الطاعة جعل على رؤوسهما تاج الملك فيقولان : ربنا ما بلغت هذا أعمالنا؟ فيقول : بلى، إن ابنكما كان يتلو كتابى» . وفقنى الله وإياك إلى الحرص على التاج ولبسه يوم القيامة، وإلباسه لوالدينا .

---

(١) ورواه أبو عبيد بن سلام فى فضائل القرآن ص (٨٥) وقال محققو الكتاب : ورواه أحمد (٥/ ٣٤٨) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ١٥٩) : رجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٤٠) من طريق حسن، ورواه أبو يعلى (٣/ ٦٥) بسند ضعيف ورواه أبو عبيد بن سلام فى فضائل القرآن (ص٨٥) وقال محققو الكتاب : ورواه أحمد (٥/ ٣٤٨) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٧/ ١٥٩) : رجال أحمد رجال الصحيح .

٤ ـ فهم الطفل للقرآن الكريم :

لابد للمربى ـ أو الوالدين ـ أن يهتما أثناء تلاوة الطفل بشرح موجز بسيط للقرآن، حتى تفتح معانى القرآن قلب وعقل الصغير، ولا يظن أحد أن الطفل صغير، فهذا الطفل الذى يعده كثير من الناس لا يستحق الشرح لصغره، ولا يستحق الاهتمام بعقله لطفولته، هذا الطفل العجيب يستطيع أن يخزن من المعلومات ما يخزنه حاسب آلى عصرى، وإليك الدليل على ذلك :

أخرج الحاكم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : سلونى عن سورة النساء، فإنى قرأت وأنا صغير، ثم قال : هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وروى ابن جرير، وأسنده : سأل فتى من قريش سعيد بن جبير قال : أخبرنا يا أباعبد الله كيف هذا الحرف؟ فإنى إذا أتيت عليه، تمنيت ألا أقرأ هذه السورة : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [يوسف:١١٠] قال : نعم، حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم، وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا (١) .

وهذه عائشة ـ رضى الله عنها ـ تشرح لابن أختها عروة بن الزبير معنى الآية السابقة .

أورد ابن كثير فى التفسير فيما أخرجه البخارى وأسنده عن عروة بن الزبير ـ رضى الله عنهما ـ عن عائشة ـ رضى الله عنها : أنها قالت له، وهو يسألها عن قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ [يوسف : ١١٠] قالت : أكذبوا أم كذبوا؟ قالت عائشة : كذبوا، قلت : فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم، فما هو بالظن، قالت لعمرى لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها : ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ ﴾ [يوسف:١١٠] قالت: معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها، قلت : فما هذه الآية؟ قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم، وصدقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٩٧) .

النصر ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ [يوسف : ١١٠] ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك .

وهذا موقف آخر لعروة مع خالته عائشة ـ رضى الله عنها ـ وهى تشرح له معانى القرآن، وتزيل من نفسه وعقله أى التباس :

روى الإمام مالك فى الموطأ عن هشام بن عروة عن أبيه : أنه قال : قلت لعائشة ـ رضى الله عنها ـ أم المؤمنين، وأنا يومئذ حديث السن : أرأيت قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة : ١٥٨] فما على الرجل شىء ألا يطوف بهما؟ قالت عائشة ـ رضى الله عنها : كلا، لو كان كما تقول، لكانت : فلا جناح عليه ألا يطوف بهما، إنما نزلت هذه الآية فى الأنصار كانوا يهلون لمناة، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية .

وهكذا تتضافر الأسرة المسلمة بالخالة والعمة والخال والعم فى تنشئة وتربية وتعليم الطفل القرآن، وأحكام الدين . وهذا من مميزات وخصائص المجتمع الإسلامى والأسرة المسلمة، فالكل مسؤول عن الطفل المسلم . وتختلف نسبة المسؤولية فى القرب والبعد عن الطفل المسلم قرابة وموقعا، وأينما وجد زمانا ومكانا .

وإذا أشكل على الطفل شىء من معانى القرآن، وأغلق عليه فإنه يعود التسليم لله تعالى فى مراده، وهذا شأن العلماء الراسخين، وهذا ما علمه الرسول ﷺ لأصحابه، وشهده أطفال الصحابة، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه (محمد) عن جده (عبد الله بن عمرو بن العاص) قال : جلست أنا وأخى مجلسا ما أحب أن لى به حمر النعم[1]، أقبلت أنا وأخى، وإذا مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة (أى فى ناحية منفردين)، إذ

(١) حمر النعم : الإبل الحمراء اللون يضرب بها المثل لارتفاع سعرها، وندرة وجودها .

ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها ، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضبا ، قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول :

«مهلا يا قوم! بهذا أهلكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا، وإنما نزل يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه» . رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم وابن ماجه والبغوى[1] .

وروى ابن عبد البر[2] عن معاوية ﷺ قال : إن أغوى الضلالة لرجل يقرأ القرآن فلا يفقه فيه، فيعلمه الصبى، والعبد، والمرأة، والأمة، فيجادلون به أهل العلم[3] .

وروى أبو يعلى فى مسنده (٢/ ٦٢) بسند حسن عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنهما : قال : «قلت لأبى : يا أبتاه! أرأيت قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون : ٥] أينا لا يسهو؟ أينا لا يحدث نفسه؟ قال : ليس ذاك، إنما هو إضاعة الوقت، يلهو حتى يضيع الوقت» .

وروى أبو عبيد بن سلام قال : حدثنا حجاج عن ابن جريج قال : قلت لأبى : أخبرك سعيد بن جبير أن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : «بسم الله الرحمن الرحيم » آية من القرآن؟ قال : نعم[4] .

وعن أهمية إعراب وفهم القرآن عامة نقتطف هذه الآثار من كتاب فضائل القرآن للمحدث اللغوى أبى عبيد القاسم بن سلام الهروى رواها بسنده[5]:

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية تحقيق التركى وأرناؤوط (١/ ٢٣٠) .
(٢) جامع العلوم والحكم (٢ / ١٩٤). ورواه أبو عبيد بن سلام بلفظ : إن أغر الضلالة . انظر : كتاب فضائل القرآن لأبى عبيد ص (٢١٣) ط دار ابن كثير .
(٣) عن حياة الصحابة (٣ / ٢٠٦) .
(٤) انظر كتاب فضائل القرآن لأبى عبيد ص (٢١٨و٢٢٢) ط . دار ابن كثير .
(٥) المصدر السابق ص (٣٤٨) .

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «أعربوا القرآن»، قال محققو الكتاب : ورواه الحاكم وذكره الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٦٣) وكنز العمال (١/ ٦٠٧) وغيرهم .

وقال أبو بكر الصديق ﷺ : لأن أعرب آية من القرآن أحب إلى من أن أحفظ آية .

قال عمر ﷺ : تعلموا إعراب القرآن كما تعلمون حفظه، والوالدان والمربون مدعوون لتوريث الأطفال الرجوع إلى التفسير من كتب التفسير، والقراءة أمامهم منها، وتوريثهم عدم الخوض فى معانى القرآن بلا علم، فعن هشام بن عروة قال : ما سمعت أبى يتأول آية من كتاب الله قط[1].

فلا التابعى لاحظ على أبيه الصحابى أو والده أنه يقول بالقرآن برأيه، ولذلك ورث ذلك عملا وحالا، وهذا هو المنهج السديد .

وإليك نموذجا عن دقة فهم الأطفال للقرآن، وحرصهم على فهمه، فيما روى أن المأمون كان يقرأ القرآن وهو صغير على أستاذه الكسائى، وكان من عادة الكسائى أن يطرق إذا قرأ المأمون، فإذا أخطأ رفع رأسه ناظرا إليه، فيرجع إلى الصواب، فقرأ يوما المأمون سورة الصف، ولما وصل إلى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢] فرفع الكسائى رأسه، فنظر المأمون إليه، وكرر الآية، وهو يفتش عن خطئه، فوجدها صحيحة، فمضى فى قراءته . ولما انصرف الكسائى، دخل المأمون على أبيه قائلا : هل وعدت الكسائى بشىء؟ قال : كيف علمت بذلك يا بنى؟ فأخبره بالأمر، فسر الرشيد لفطنة ابنه، وشدة ذكائه .

٥ ـ كيف يؤثر القرآن فى نفس الطفل؟

للقرآن تأثير كبير على النفس البشرية عامة، يهزها، ويجذبها، ويضرب على

(١) انظر: كتاب فضائل القرآن لأبى عبيد ص (٣٧٨) .

أوتارها، وكلما اشتدت النفس صفاء، كلما ازدادت تأثرا، والطفل أقوى الناس صفاء، وفطرته مازالت نقية، والشيطان مازال فى كبوته تجاهها، وإذا تأملنا الآيات المكية، وجدناها قصيرة، تتناسب مع نفسه القصير، بالإضافة إلى قصار السور، التى تقدم للطفل موضوعا متكاملا بكلمات قليلة، سهلة الحفظ قوية التأثير، والكاتب الأديب مصطفى صادق الرافعى ـ رحمه الله ـ فصل هذا البيان بشكل أوسع فقال[1] : إن لهذه السور القصار لأمرًا، وإن لها فى القرآن لحكمة، هى من أعجب ما ينتهى إليه التأمل، حتى لا يقع من النفس إلا موقع الأدلة الإلهية المعجزة، فهى لم تنزل متتابعة فى نسق على هذا الترتيب، الذى تراه فى المصحف إذ لم يكن أول ما نزل من القرآن ولا آخره ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : ١] ثم هى بجملتها، وعلى إحصائها، لا تبلغ من القرآن أكثر من جزء واحد، والقرآن كله ثلاثون جزءا، وهو يتسع من بعدها قليلا وكثيرا، حتى ينتهى إلى الطول، فقط علم الله أن كتابه سيثبت الدهر على هذا الترتيب المتداول للحفظ، بأسباب أظهرها فى المنفعة، وأولها فى المنزلة، هذه السور القصار التى تخرج من الكلمات المعدودة، إلى الآيات القليلة، والتى هى مع ذلك أكثر ما تجىء آياتها على فاصلة قليلة، مع قصر ما بين الفاصلة والفاصلة، فكل آية فى وصفها، كأنها سورة من كلمات قليلة :

ـ لا يضيق بها نفس الطفل الصغير .

ـ وهى تتماثل فى ذاكرته، بهذه الفواصل، التى تأتى على حرف واحد ، أو حرفين أو حروف قليلة متقاربة .

ـ فلا يستظهر الطفل بعض هذه السور، حتى يلتئم نظم القرآن على لسانه، ويثبت أثره فى نفسه، فلا يكون بعد إلا أن يمر فيه مرًا .

ـ وهو كلما تقدم، وجده أسهل عليه، ووجد له خصائص، تعينه على الحفظ،

(١) فى كتابه : تاريخ آداب العرب (٢/ ٢٠٦) .

وعلى إثبات ما يحفظ، فهذا المعنى من قوله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء] .

وهى لعمر الله رحمة وأى رحمة، وإذا أردت أن تبلغ عجبا من هذا المعنى، فتأمل سورة فى القرآن، وأول ما يحفظه الأطفال وهى سورة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس : ١] وانظر كيف جاءت فى نظمها :

كيف تكررت الفاصلة، وهى لفظة الناس؟!

وكيف لا ترى فى فواصلها إلا هذا الحرف : السين؟! الذى هو أشد الحروف صفيرا، وأطربها موقعا من سمع الطفل الصغير، وأبعثها لنشاطه واجتماعه .

وكيف تناسبت مقاطع السورة، عند النطق بها، مع تردد النفس فى أصغر طفل، يقوى على الكلام، حتى كأنها تجرى معه، وكأنها فصلت على مقداره؟!

وكيف تطابق الأمر كله، من جميع جهاته، فى أحرفها، ونظمها، ومعانيها؟!

ثم انظر، كيف يجىء ما فوقها على الوجه الذى أشرنا اليه؟!

وكيف تمت الحكمة فى هذ الترتيب العجيب؟! كل ذلك يحصل للطفل . وأكثر من ذلك، ومن تعامل مع الأطفال عند حفظهم لقصار السور، يرى ذلك بنفسه، ويلمس ذلك بيديه .

وهذا نموذج عملى من تأثر الأطفال بالقرآن :

فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : لما أنزل الله ـ عز وجل ـ على نبيه ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم : ٦] تلاها رسول الله ﷺ على أصحابة ذات ليلة أو قال يوم ، فخر فتى مغشيًا عليه ، فوضع النبى ﷺ يده على فؤاده، فإذا هو يتحرك فقال : «يا فتى، قل لا إله إلا الله » فقالها، فبشره بالجنة، فقال

أصحابه : يا رسول الله، أمن بيننا؟ فقال رسول الله ﷺ : «أما سمعتم قول الله عز وجل : «﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم : ١٤] رواه الحاكم فى مستدركه (٢/ ٣٥١) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبى .

ومن تأثيرات القرآن فى نفس الطفل، حينما يعايشه، ترتيلاً، وفهمًا، يستطيع هذا الطفل أن يحل كثيراً من مشاكله الاعتقادية والنفسية، وأن يقوم سلوكه، وأن يهدئ من انفعالاته العصبية، وأن يوسع من ذاكرته . وعلى سبيل الذكر نذكر هذه القصة اللطيفة فى بابها للعلامة الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمة الله [١] فقال :

كان صورة ما وقع لى وأنا صغير، أنى تفكرت يومًا فى الله عز وجل، فقسته على ما أتعقله، ثم صرفته : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وإن القرآن ليؤثر كذلك فى نفوس أطفال المشركين والكفار فضلاً عن كبارهم :

أخرج البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن أبا بكر ﷺ ابتنى مسجدًا بفناء داره (أى : فى مكة)، وكان يصلى فيه، ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، وأفزع ذلك أشراف قريش، وطلبوا من ابن الدغنة أن يرد عليه جواره ، أو لا يستعلن بقراءته .

هكذا تؤثر تلاوة القرآن وقراءة الصادقين مع الله ورسوله ﷺ، وتتفاعل معها القلوب، وقلوب الأعداء صغارهم ونساؤهم، اللهم وفقنا لذلك . واجعلنا أهلاً لنصرة كتابك وسنة نبيك ﷺ .

٦ ـ نماذج من حفظة القرآن من الأطفال :

هذه نماذج نضعها بيدى الوالدين، لتكون وسيلة فى استنهاض الهمم، وشحن

---

(١) فى كتابه : المنن الكبرى .

النفوس، نحو الاهتمام بحفظ كتاب الله، ولتكون أداة فعالة فى تنشيط العقول، وتحريكها للتغذى بهذا المنهل العذب [١] .

١ـ يقول الشافعى ـ رحمة الله: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين ، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر [٢] .

٢ـ ويقول سهل بن عبد الله التسترى : فمضيت إلى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين [٣] .

٣ـ أما ابن سينا، فلما بلغ عشر سنين من عمره، كان قد أتقن القرآن العزيز [٤] .

٤ ـ وأما الإمام النووى ـ رحمه الله ـ فيقول الشيخ ياسين بن يوسف المراكشى عنه :

رأيت الشيخ وهو ابن عشر سنين بنوى، والصبيان يكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم، ويبكى لإكراههم، ويقرأ القرآن فى تلك الحال، فوقع فى قلبى محبته، وكان قد جعله أبوه فى دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، فأتيت معلمه، فوصيته به، وقلت له : إنه يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه، وأزهدهم، وينتفع به الناس، فقال لى : أمنجم أنت؟ فقلت : لا،وإنما أنطقنى الله بذلك، فذكر ذلك لوالده، فحرص عليه، إلى أن ختم القرآن، وقد ناهز الحلم [٥] .

٥ ـ والآن مع ابن سبعة عشر عامًا حفظ القراءات السبع : ذكر الدكتور عبد الحى الفرماوى فى مقدمة تحقيقه لكتاب منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تأليف محمد بن الجزرى، عنه حياة المؤلف فقال :

---

(١) للاستزادة راجع الإهداء فى: التصوير الفنى فى القرآن، ومشاهد القيامة فى القرآن، للشهيد سيد قطب، رحمه الله .

(٢) طبقات الحفاظ للسيوطى (ص ١٥٤) .

(٣) الإحياء للإمام الغزالى (٣/ ٧٢) .

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان، نقلاً عن : صفحات من صبرالعلماء (١/ ١٥٢) .

(٥) الطبقات الكبرى لابن السبكى (٨/ ٣٩٦) .

يحدثنا التاريخ أن أباه كان تاجرًا، وقد حرص بعد أن استجاب الله لدعائه، على تربية ابنه تربية دينية، وعلى تنشئته نشأة صالحة، ولذا نشأ ابن الجزرى فى بيت يقدر العلم، وأهله، مما ساعده على أن يتم حفظ القرآن، وله من العمر ثلاثة عشر عامًا، وأن يسمع الحديث، ويفرد القراءات، بل يجمع قراءات الأئمة السبعة، وأيضًا يجمع القراءات على أعلم بلاد الشام بالقراءات، وهو الشيخ ابن اللبان، كان ذلك وهو لم يزل فى عامه السابع عشر [1] !

وفى عصرنا الحاضر يحدثنا العلامة محمد زكريا الكاندهلوى ـ رحمه الله ـ ابن محمد يحيى الكاندهلوى الذى ذكر عن والده فيقول : كان رحمه الله تعالى حفظ ربع الجزء الثلاثين من القرآن الكريم عند فطامه، وحفظ سائر القرآن إذ كان عمره سبع سنين، وكان والده ـ قدس سره ـ قد أمره بعد فراغه من حفظ القرآن قبل شروعه فى الكتب العربية أن يقرأ كل يوم القرآن المجيد مرة واحدة، فكان يبدئ من بعد الفجر ويختم قبل الظهر، وتسلسل عمله ذاك إلى ستة أشهر» [2] .

«وهذا نموذج آخر فى طلب الأطفال للقراءات من العلماء المتأخرين، فيقول الشيخ محمد علاء الدين عابدين ـ رحمه الله ـ عن حياة والده الشيخ الجليل محمد أمين الشهير بابن عابدين ـ صاحب الحاشية فى الفقه الحنفى :

وحفظ القرآن العظيم عن ظهر قلب، وهو صغير جدًا، وجلس فى محل تجارة والده؛ ليألف التجارة، ويتعلم البيع والشراء، فجلس مرة يقرأ القرآن العظيم، فمر رجل لا يعرفه، فسمعة وهو يقرأ، فزجره، وأنكر قراءته وقال له : لايجوز لك أن تقرأ هذه القراءة .

أولاً : لأن هذا المحل محل التجارة، والناس لا يستمعون قراءتك، فيرتكبون

---

(١) طبقات القراء (٢/ ٢٤٧) .

(٢) انظر كتاب : (لامع الدرارى على جامع البخارى) فى نهاية المقدمة (١/ ١٥٢) الطبعة الهندية الحجرية .

الإثم بسببك، وأنت أيضًا آثم .

وثانيًا : قراءتك ملحونة، فقام من ساعته، وسأل عن أقرأ أهل العصر فى زمنه، فدله واحد على شيخ القراء فى عصره، وهو الشيخ سعيد الحموى، فذهب لحجرته، وطلب منه أن يعلمه أحكام القراءة والتجويد، وكان وقتئذ لم يبلغ الحلم، فحفظ الميدانية، والجزرية، والشاطبية، وقرأها قراءة إتقان، وإمعان، حتى أتقن فن القراءة بطرقها، وأوجهها» [1] .

٧ ـ طفولة عجيبة فى حفظ القرآن الكريم :

قال إبراهيم بن سعيد الجوهرى : رأيت صبيًا ابن أربع سنين قد حمل إلى المأمون، قد قرأ القرآن، ونظر فى الرأى، غير أنه إذا جاع يبكى [2] .

وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الأصبهانى [3] : حفظت القرآن ولى خمس سنين، وحملت إلى أبى بكر المقرئ لأسمع، ولى أربع سنين، فقال بعض الحاضرين : لا تسمعوا له فيما قرأ، فإنه صغير، فقال لى ابن المقرئ : اقرأ سورة التكوير، فقرأتها، فقال لى غيره : اقرأ سورة والمرسلات فقرأتها ولم أغلط فيها، فقال ابن المقرئ : اسمعوا له، والعهدة على .

٨ ـ متى يبدأ الطفل بتعلم القرآن الكريم :

قال أبو عاصم [4] : ذهبت بابنى إلى ابن جريج، وهو ابن أقل من ثلاث سنين، يحدثه بهذا الحديث، والقرآن وقال أبو عاصم : لا بأس أن يعلم الصبى الحديث، والقرآن، وهو فى هذه السن، ونحوه .

---

(١) حاشية ابن عابدين (ط٢) (ص٧) .
(٢) الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى (ص١١٦ـ١١٧) طبع مصر .
(٣، ٤) المصدر السابق .

٩ ـ مكافأة للمقرئ والطفل :

حين حذق حماد بن أبى حنيفة ﷺ سورة الفاتحة، وهب أبو حنيفة المعلم خمسمائة درهم ـ وكان الكبش يشترى بدرهم ـ واستكثر المعلم هذا السخاء؛ إذ لم يعلمه إلا الفاتحة، فقال أبو حنيفة : لا تستحقر ما علمت ولدى، ولو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك، تعظيماً للقرآن [١] .

أما مكافأة الطفل فهذا القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبى ـ رحمه الله تعالى ـ وهو فى خضم المعركة ، يتجول فى المعسكر فيجتاز على صغير بين يدى أبيه، وهو يقرأ القرآن، فاستحسن قراءته فقربه وجعل له حظاً من خاص طعامه، ووقف عليه وعلى أبيه جزءاً من مزرعته[٢] .

١٠ ـ أثر تلاوة الأطفال للقرآن على إيمان الكبار والتأثير فيهم :

روى أبو نعيم فى الدلائل عن رجل من بنى سلمة قال: «لما أسلم فتيان بنى سلمة، وأسلم ولد عمرو بن الجموح، قالت امرأة عمرو له: هل لك أن تسمع من ابنك ما روى له؟ فقال: أخبرنى ما سمعت من كلام هذا الرجل (أى: الرسول ﷺ)، فقرأ عليه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٤ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٥﴾ [الفاتحة] .

فقال : ما أحسن هذا وأجمله! وكل كلامه مثل هذا؟ فقال : يا أبتاه، وأحسن من هذا، وذلك قبل الهجرة» [٣] .

وروى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : إن أم الفضل سمعته، وهو يقرأ : «والمرسلات عرفاً» فقال : يا بنى، والله لقد ذكرتنى بقراءتك

---

(١) فتح باب العناية (ص ١٩) .
(٢) النوادر السلطانية (ص ٩) .
(٣) انظر: الدر المنثور للسيوطى (١/ ١٠) .

هذه السورة . إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها فى المغرب» . ورواه مسلم والترمذى والنسائى وأحمد ومالك والدا رمى .

١١ ـ كيف يحفظ الأطفال القرآن الكريم؟

يتساءل كثير من المهتمين بتحفيظ القرآن عن أفضل الطرق لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم، وما هى طريقة السلف الصالح بتحفيظ أطفالهم القرآن الكريم؟ حتى كثر حفظته بينهم، وقل بيننا ؟!

والجواب على ذلك : أن القرآن نزل منجمًا، أى : مفرقًا، فكان ينزل آية أو بعض آية[١]، أو آيتين أو ثلاث آيات أو أربع آيات أو خمس آيات، أو عشر آيات وقد استقر عمل الصحابة فى تعليم القرآن وتحفيظه على أن يكون كل يوم خمس آيات .

أخرج ابن عساكر من طريق أبى نضرة قال : كان أبو سعيد الخدرى ﷺ يعلمنا القرآن، خمس آيات بالغداة، وخمس آيات بالعشى، ويخبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات، خمس آيات .

وأخرج البيهقى فى الشعب من طريق أبى خلدة عن عمر ﷺ قال : تعلموا القرآن خمس آيات، خمس آيات، فإن جبريل كان ينزل القرآن على النبى ﷺ خمسًا خمسًا .

ومن طريق ضعيف عن على ـ كرم الله وجهه ـ قال: أنزل القرآن خمساً خمساً ، إلا سورة الأنعام ، ومن حفظ خمساً خمساً لم ينسه [٢] . ومعنى ذلك كما قال السيوطى ـ رحمه الله ـ فى كتاب (الإتقان فى علوم القرآن) [٣] :

إن معناه (أى قول الصحابة نزل خمسًا خمسًا) إن صح : إلقاؤه إلى النبى ﷺ بهذا

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن (١/ ١٣٧) طبع دار ابن كثير الدمشقية، تحقيق : د . مصطفى البغا.

(٢) المصدر السابق .

(٣) الإتقان فى علوم القرآن (١/ ١٣٧) طبع دار ابن كثير الدمشقية، تحقيق : د . مصطفى البغا، وقد أفادنى شيخنا محمد خواجة شريف ـ شيخ الحديث بالجامعة النظامية فى حيدر آباد الدكن فى الهند ـ أنه استخدم هذه الطريقة مع ابنته فحفظت القرآن كله، تحفظ كل يوم خمس آيات، علماً بأنها لا تعرف اللغة العربية !

القدر حتى يحفظه، ثم يلقى إليه الباقى، لا إنزاله بهذا القدر خاصة، ويوضح ذلك : ما أخرجه البيهقى أيضاً عن خالد بن دينار قال : قال لنا أبو العالية : تعلموا القرآن خمس آيات، خمس آيات، فإن النبى ﷺ كان يأخذه من جبريل خمسًا خمسًا . انتهى[1] .

وقد انتشرت فى عصرنا الحاضر آلات التسجيل، وأصوات المقرئين، والحاسب الآلى، وأصبح فى متناول الجميع سهولة تحفيظ الطفل القرآن الكريم، وبزيادة عناية الوالدين، وزيادة رعايتهم، وصدق توجههم، فإن الله تعالى يبارك فى تحفيظ أولادهم، رزقنى الله ذلك وإياك إن شاء الله تعالى .

١٢ - تخيير الطفل وقت القراءة :

روى أبو عبيد بن سلام بسنده[2]: أن الحسن بن على كان يقرأ ورده اليومى من القرآن من أول الليل ، وأن حسيناً كان يقرؤه من آخر الليل .

١٣ ـ تعليم أطفال غير المسلمين القرآن الكريم :

روى أبو عبيد بن سلام قال : حدثنا عباد بن العوام، قال : حدثنا عمر بن حفص من أهل واسط قال ـ وكان أبواه مجوسيين ـ فدفعه أبوه إلى معلم يقال له: صالح، من جلساء الحسن، فقال : علمه القرآن، فذهب به صالح إلى الحسن فسأله عن ذلك، فقال : علمه فإنه عسى .

قال عباد : فسألت أبا حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ عن ذلك، فقال : لا بأس أن تعلمه القرآن صغيرًا أو كبيرًا .

وروى أيضًا، حدثنا يزيد، عن حماد بن سلمة، عن حبيب المعلم قال : سألت الحسن، قلت : أعلم أولاد أهل الذمة القرآن ؟ فقال : نعم، أو ليس يقرؤون التوراة والإنجيل وهما من القرآن، أو قال : وهما من كتاب الله عزوجل .

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن (١/ ١٣٧) .

(٢) انظر : كتاب فضائل القرآن ص (١٨٦) .

١٤ـ حفظ الطفل أسباب النزول :

روى أبو عبيد قال : حدثنا حجاج عن ابن جريح قال : أخبرنى يوسف بن ماهك قال : إنى لعند عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ إذ جاء أعرابى فقال : يا أم المؤمنين، أرينى مصحفك، فقالت : لم؟ قال : لعلى أؤلف القرآن عليه، فإنا نقرؤه غير مؤلف، قالت : وما يضرك أيه قرأت قبل؟ إنما أنزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شىء لا تشربوا الخمر، لقالوا : لا ندع الخمر، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا : لا ندع الزنا، ولقد نزل على محمد ﷺ، وإنى لجارية بمكة ألعب: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ [القمر]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال : فأخرج المصحف، فأمليت عليه أنا السور [١].

١٥ ـ المدارس القرآنية فى البلاد الإسلامية :

أ ـ إقبال الأطفال على المدارس القرآنية :

«ضاقت المساجد بالصبيان، حتى اضطر الضحاك بن مزاحم ـ معلم الصبيان ومؤدبهم ـ إلى أن يطوف على حمار، ليشرف على طلاب مكتبه، الذين بلغ عددهم ثلاثة آلاف صبى، وكان لا يأخذ أجراً على عمله» [٢].

ب ـ هل يتعلم الطفل علماً آخر مع القرآن؟

اختلفت مذاهب الأمصار الإسلامية فى ذلك، كما يقول ابن خلدون [٣]،فمن البلاد من تشارك فى تعليم القرآن علماً آخر، ومنهم من يشارك، على اعتبار العلوم الأخرى فرعية، ومنهم من يشارك بالتساوى، فيقول عن كل بلد :

---

(١) المصدر السابق ص (٣٦٥) قال محققوه : رواه البخارى فى فضائل القرآن (٩/ ٣٦).
(٢) عن أصول الحديث لعجاج الخطيب (ص١٤٥).
(٣) فى مقدمته (ص٣٩٧). وانظر تاريخ التربية للدكتور شلبى.

١ ـ **أهل المغرب** : فمذهبهم فى الولدان، الاقتصار على تعليم القرآن فقط، مع العناية برسمه، واختلاف حملة القرآن فيه، ولا يخلطون ذلك بسواه فى مجالس تعليمهم، لا من حديث، و لا من فقه، ولا من شعر، ولا من كلام العرب .

٢ ـ **أهل إفريقية** : يخلطون فى تعليمهم للولدان القرآن بالحديث فى الغالب، ومدارسة قوانين العلوم ـ أى العلوم الدينية ـ وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن، واستظهار الولدان إياه، ووقوفهم على اختلاف رواياته، وقراءته أكثر، وعنايتهم بالخط تبع لذلك .

٣ ـ **أهل الأندلس** : مذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذى يراعونه فى التعليم،فلا يقتصرون على القرآن،بل يخلطون فى تعليمهم للولدان رواية الشعر، والترسل، وأخذهم بقوانين العربية، وتجويد الخط، ولا تختص عنايتهم فى التعليم بالقرآن دون هذه، بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها .

٤ ـ **أهل المشرق** : يخلطون فى التعليم كذلك .

وإذا تأملنا واقعنا الحالى الذى نعيشه الآن نرى ـ والله أعلم ـ أنه لا بأس بجمع تعليم القرآن والعلوم الأخرى، إذ الذاكرة العقلية تتلقح من جميع العلوم، فتساعدها على التفتح، والتركيز، والفهم، وهذا لطالب العلوم غير الشرعية، أما طالب العلم الشرعى، فأول ما يبدأ بحفظه كتاب الله تعالى، ليكون مغذياً لروحه، وعقله، وبصيرته، والله أعلم .

الأساس العقدى الخامس : تربية الثبات على العقيدة والتضحية من أجلها :

العقيدة تعلو بالتضحية لها، وكلما اتسعت دائرة التضحية، كلما قويت النفس على الثبات، ودل ذلك على الصدق، وهو عين الاستقامة .

والطفل المسلم اليوم، فى مواجهته للتحديات المعاصرة الكثيرة، وللخطط

والمؤامرات، والدراسات التى تدبر ضده، لكى تحرفه عن دين الله ومنهجه، يحتاج فى مواجهة ذلك إلى التضحية فى سبيل الله، والثبات على منهجه، فعند ذلك يتذوق حلاوة الإيمان، وترتفع درجة قوته فى النفس، ويتعرف على تضحية المؤمنين من القرآن ومن سيرة رسول الله ﷺ،حتى إذا وصلت التضحية إليه بذل نفسه فى سبيل الله، كما تعلم ذلك من القرآن وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام .

للطفل المسلم اليوم فيما قصه له الرسول ﷺ عن طفولة المؤمنين وتضحيتهم لدين الله أسوة وقدوة، ولما بذله أطفال الصحابة قدوة، يسير بها على درب الإيمان، لا يخاف فى الله لومة لائم .

١ـ غلام الأخدود قدوة للأطفال :

روى مسلم عن صهيب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك : إنى قد كبرت، فابعث إلى غلاما، أعلمه السحر، فبعث إليه غلاما يعلمه، فكان فى طريقه، إذا سلك راهب فقعد إليه، وسمع كلامه، فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر إلى بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال : إذا خشيت الساحر، فقل :حبسنى أهلى، وإذا خشيت أهلك فقل :حبسنى الساحر، فبينما هو كذلك، إذ أتى على دابة عظيمة [١] قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجًرا، فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة، حتى يمضى الناس، فرماها، فقتلها،ومضى الناس[٢]، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب : أى بنى أنت اليوم أفضل منى، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت، فلا تدل على .

وكان الغلام يبرئ الأكمة ـ من ولد أعمى ـ والأبرص ـ من بجسمه بياض ـ ويداوى الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك، وكان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال :ماها

---

(١) فى عبد الرزاق : أسد .

(٢) فى رواية عبد الرزاق : فقال الناس : قد علم هذا الغلام علمًا لم يعلمه أحد .

هنا لك أجمع، إن أنت شفيتنى، فقال : إنى لا أشفى أحدًا، إنما يشفى الله تعالى، فإن أنت آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك، فآمن بالله تعالى، فشفاه الله تعالى، فأتى الملك، فجلس إليه، كما كان يجلس، فقال له الملك : من رد عليك بصرك؟ قال : ربى،قال : أولك رب غيرى؟ قال : ربى وربك الله، فأخذه، فلم يزل يعذبه،حتى دل على الغلام، فجىء بالغلام، فقال له الملك : أى بنى، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه، والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إنى لا أشفى أحدا، إنما يشفى الله تعالى، فأخذه، فلم يزل يعذبه، حتى دل على الراهب، فجىء بالراهب، فقيل له : ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار فعرضع المنشار فى مفرق رأسه،فشقه حتى وقع شقاه . ثم جىء بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك، تأتى، فأبى، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جىء بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال :اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفينهم بما شئت، فرجف الجبل، فسقطوا، وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفيناهم الله تعالى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال : اذهبوا به، فاحملوه فى قُرقُور، وفتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا، وجاء يمشى إلى الملك، فقال : ما فعل أصحابك؟ فقال له : كفانيهم الله، فقال للملك : إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما أمرك به. قال: وما هو؟ قال تجمع الناس فى صعيد واحد، وتصلبنى على جذع، ثم خذ سهما من كنانتى، ثم ضع السهم فى كبد القوس، ثم قل، بسم الله، رب الغلام ثم ارمنى، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناس فى صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم فى كبد القوس، ثم قال : بسم الله رب الغلام ،ثم رماه ، فوقع السهم فى صدغه ـ أى ما بين العين إلى شحمه الأذن ـ، فوضع يده فى صدغه فى موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت

تحذر؟! قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواه السكك ـ الطرق ـ فخدّت ـ شقت ـ وأضرم فيها النيران، وقال : من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له : اقتحم ، ففعلوه حتى جاءت امرأة، ومعها صبى لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام : يا أماه اصبرى، فإنك على الحق[1]. وفى رواية عبد الرازق قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴾ ﴿ ٱلْحَمِيدِ ۝ ﴾ [البروج] قال : فأما الغلام فإنه دفن . قال : فيذكر أنه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب ،وأصبعه على صدغه، كما كان وضعها .

٢ـ نماذج من تضحية وجهاد أطفال الصحابة والسلف الصالح :

١ـ الأمهات يشجعن أطفالهن على الجهاد :

روى ابن أبى شيبة عن الشعبى : أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أحد السيف فلم يطق حمله فشدته على ساعده بنسعة[2]، ثم أتت به النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله، هذا ابنى يقاتل عنك، فقال النبى ﷺ : «أى بنى، احمل ها هنا، أى بنى احمل ها هنا» فأصابته جراحة، فصرع، فأتى به النبى ﷺ فقال :«أى بنى لعلك جزعت» قال : لا يا رسول الله . كذا فى كنز العمال (٥/ ٢٧٧) .

٢ ـ الأمهات يفرحن باستشهاد أطفالهن :

أخرج أحمد والبخارى عن أنس ﷺ أن حارثة بن ا لربيع، جاء يوم بدر نظارًا، وكان غلامًا، فجاء سهم غرب، فوقع فى ثغرة نحره، فقتله، فجاءت أمه الربيع فقالت : يا رسول الله، قد علمت مكانة حارثة منى، فإن كان من أهل الجنة فسأصبر، وإلا فسيرى الله ما أصنع، فقال : «يا أم حارثة ، إنها ليست بجنة واحدة،

---

(١) علق لى على موقف الأم هذه فضيلة الشيخ عبد العزيز عيون السود شيخ القراء ـ رحمه الله تعالى، عندما قدمت إليه البحث لينظر فيه، فوضع على الهامش : (تقديم أمر الله على رحمة الولد) . قال حبيب الرحمن الأعظمى معلقاً على مصنف عبد الرازق : وأخرجه الترمذى وأحمد ومسلم .

(٢) سير أو حبل عريض طويل ، تشد به الرحال .

ولكنها جنان كثيرة ، وإنه فى الفردوس الأعلى» [1].

٣ ـ الأطفال يقتلون الطغاة أعداء رسول الله ﷺ :

عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال : إنى لواقف يوم بدر فى الصف، نظرت عن يمينى وشمالى، فإذا أنا بين غلامين، حديثة أسنانهما، من الأنصار، فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزنى أحدهما، فقال : يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قال : نعم وما حاجتك إليه يا بن أخى؟ قال : إنى خبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذى نفسى بيده لو رأيته لا يفارق سوادى سواده، حتى يموت الأعجل، قال : فتعجبت من ذلك، فغمزنى الآخر، فقال لى مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل يزول فى الناس، فقلت لهما : ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذى تسألان عنه، فابتدراه، فضرباه بسيفيهما، حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فأخبراه، فقال : «أيكما قتله؟» قال كل واحد منهما : أنا قتلته ، قال : «مسحتما سيفيكما؟» قالا : لا، فنظر فى السيفين، قال (كلاكما قتله) فقضى بسلبه لمعاذ بن الجموح، واسم الآخر معاذ بن عفراء .

رواه البخارى ومسلم وأبو يعلى فى مسنده (٢/ ١٧٠) بسند صحيح .

٤ ـ الأطفال يبكون ويتوارون حتى يخرجوا للجهاد :

روى ابن عساكر عن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال :

رد رسول الله ﷺ عمير بن أبى وقاص عن مخرجه إلى بدر، واستصغره ، فبكى عمير ﷺ فأجازه، قال سعد : فعقدت عليه حمالة سيفه ولقد شهدت بدراً، وما فى وجهى إلا شعرة واحده أمسحها بيدى [2] .

وروى ابن سعد عن سعد ﷺ قال :

---

(١) رواه ابن سعد وابن خزيمة والطبرانى انظر : صحيح الجامع رقم (٧٨٥٣) .
(٢)كنز العمال (٥/ ٢٧٠) والحاكم (٣/ ٨٨) .

رأيت أخى عمير بن أبى وقاص ﷺ قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى، فقلت : ما لك يا أخى ؟ قال : إنى أخاف أن يرانى رسول الله ﷺ فيستصغرنى، فيردنى وأنا أحب الخروج، لعل الله أن يرزقنى الشهادة، فكان سعدﷺ يقول : فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره ، فقتل وهو ابن ست عشرة سنه[1] .

وعن زيد بن حارثة ﷺ أن رسول الله ﷺ استصغر ناساً يوم أحد منهم : زيد بن حارثة ـ يعنى نفسه ـ والبراء بن عازب ، وزيد بن أرقم وسعد وأبو سعيد الخدرى، وعبد الله بن عمر، وذكر جابر بن عبد الله .

رواه الحاكم فى مستدركه (٢/ ٥٩) وقال : صحيح الإسناد، وأقره الذهبى .

وهذا الرد لم يمنعهم من الاستمرار فى الخروج للجهاد حتى يأذن لهم رسول الله .

فهذا سعد بن عتبة يرده النبى ﷺ يوم أحد، ويراه يوم الخندق وهو يقاتل قتالاً شديداً مع حداثة سنة، فدعاه رسول الله وقال له : «من أنت؟» فقال : سعد بن عتبة، فقال : «أسعد الله جدك» ومسح على رأسه . كما فى وفيات الأعيان لابن خلكان (٦/ ٣٩٨) .

٥ ـ الأطفال يطلبون تجهيزهم للجهاد :

أخرج مسلم وأبو داود عن أنس ﷺ أن فتى من أسلم قال : يا رسول الله ﷺ إنى أريد الغزو، وليس معى ما أتجهز به؟ قال : «ائت فلاناً قد كان تجهز فمرض» فأتاه، فقال : إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول : أعطنى الذى تجهزت به، فقال : يا فلانة، أعطيه الذى تجهزت به، ولا تحبسى منه شيئًا، فوالله لا تحبسين شيئاً فيبارك لنا فيه .

وعن سمرة بن جندب قال : «كان رسول الله ﷺ يعرض علينا من الأنصار،

---

(١) الإصابة (١٣٥) .

فيلحق من أدرك منهم فعرضت عاماً، فألحق غلاماً وردنى، فقلت : يا رسول الله لقد ألحقته ورددتنى، ولو صارعته لصرعته، قال : فصارعته فصرعته فألحقنى» رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد[1] .

٦ ـ الآباء يصحبون أطفالهم فى المعارك :

أخرج البخارى عن عروة بن الزبير ـ رحمه الله ـ قال : كانت فى الزبير ثلاث ضربات إحداهن فى عاتقه، إن كنت لأوغل أصابعى فيها، ألعب بها وأنا صغير، قال له أصحاب رسول الله ﷺ يوم اليرموك : ألا تشد فنشد معك؟ قال : إن شددت كذبتم، قالوا : لا نفعل، فحمل عليهم، حتى شق صفوفهم، فجاوزهم، وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً ـ فأخذ بلجامه ـ فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضربها يوم بدر، قال عروة : وكان معه عبد الله بن الزبير يوم اليرموك وهو ابن عشر سنين، فحمله على فرس، ووكل به رجلاً .

وروى ابن جرير فى تهذيب الآثار (١/ ٩٤) بسنده عن عبد الله بن الزبير قال : كنت أنا وعمر بن أبى سلمة فى الأطم يوم الخندق، فكان يطأطئ لى فأنظر إلى القتال، وأطأطئ له فينظر إلى القتال . فرأيت أبى يجول فى السبخة، يكر على هؤلاء مرة، وعلى هؤلاء مرة فقلت له : يا أبت ، قد رأيتك تكر فى السبخة على هؤلاء مرة وعلى هؤلاء مرة، فقال : قد جمع لى رسول الله ﷺ اليوم أبويه[2] . وزاد البخارى : «فقال : فداك أبى وأمى» .

وفى رواية له : قال : هل رأيتنى أى بنى؟! قال : نعم، قال : كان رسول الله ﷺ يجمع حينئذ لأبيك أبويه يقول : «احمل، أبى وأمى» .

---

(١) انظر : عقود الجواهر المنيفة (٢/ ٩٧) .

(٢) البخارى ، فضائل باب (١٣) ومسلم (٤/ ١٨٨٠) ومسند أحمد (١/ ١٦٤) مع اختلاف فى اللفظ، وانظر : طبقات ابن سعد (٣/ ١٠٦) والبداية (٤/ ١٠٧) . ورواه أبو يعلى فى مسنده (٢/ ٣٥) بسند صحيح .

بمثل هذا الجهاد ربى الصحابة أطفالهم، لا يعرفون تكاسلاً ولا تثاقلاً إلى الأرض، وإنما يستخدمون شتى الأساليب لكيلا يستصغرهم النبى ﷺ فيردهم، فتارة يبكون وأخرى يتوارون، وثالثة يقفون على رؤوس أصابعهم، كل ذلك ليخرجوا إلى الجهاد فى سبيل الله، وينالوا شهادة أخروية، لايعدلها أى شهادة فى الدنيا على الإطلاق، وبنوا مستقبلاً حقيقيًا زاهرًا مشرفًا خالدًا أبديًا فى جنات عرضها السموات والأرض .

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

٧ ـ تدريب الأطفال على طاعة الله تعالى بإزالة المنكرات، وتنفيذ حدود الله تعالى :

روى مالك فى الموطأ عن أنس بن مالك ﷺ قال : كنت أسقى أبا عبيدة بن الجراح، وأبا طلحة الأنصارى وأبى بن كعب شرابًا من فضيخ وتمر، قال : فجاءهم آت، فقال : «إن الخمر قد حرمت»، فقال أبو طلحة : يا أنس، قم إلى هذه الجرار فاكسرها، قال : فقمت إلى مهراس لنا، فضربتها بأسفله حتى تكسرت . وأمر رسول الله ﷺ أنيسًا أن يغدو على امرأة رجل ذكر أنها زنت، فقال النبى ﷺ لأنس : «اذهب إلى امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها » فاعترفت فرجمها . عن رسالة الشافعى (١/ ٢٥) .

٨ ـ قيام أطفال الصحابة رضوان الله عليهم بواجب الدعوة إلى الله :

ليس من طبيعة هذا الدين أن يكون حكرًا على الذين آمنوا به فحسب، فيضربون عليه سورًا يمنعون الناس من الدخول إليه، وإنما دعوة ربانية عالمية، من حق كل إنسان أن يتعرف عليه، ويتأمل فيه، ويعتنقه ويصبح فى لحظة نطقه بالشهادتين أول الركب فى الدعوة إلى الله وليس من طبيعة هذا الدين الجمود والتوقف عن كسب الأفراد الجدد من يوم أعلن سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ رسالته أمام الملأ، عندما وقف على جبل الصفا إيذاناً بالرسالة والدعوة إلى توحيد الله ،

فمنذ ذلك اليوم ، وقافلة الدعوة تسير فى اطراد والناس يدخلون فى دين الله أفواجًا، تاره ، وأفراداً تاره أخرى ، ودولاً ومجتمعات تارة ثالثة .

إن من خصائص الإسلام السامقة أنه نور الله فى الأرض، يراه كل من يبحث عنه، ويحس به كل من يسعى إليه، ويشعر به كل من يتحرك نحوه، فقوته فى ذاتـه، وذاتـه فى نوره، ونوره مستمد من منور السموات والأرض؛ لذلك لم يكلف أبناءه فوق طـاقتهم فإذا بذل المؤمنون طاقتهم فقد أعذروا أنفسهم أمام ربهم، وتقديم نـور الإسـلام يبـدد ظلمات الأفكار الأرضية، ودعايتها الزائفة، وبهرجتها الخادعة، لقد بذل المؤمنـون منـذ أول شهيدة فى الإسلام سمية أم عمار بن ياسر ـ ﷺ ـ وإلى قيام الساعة مـا فى وسـعهم، حتى إن المرء ليأخذه العجب عندما يرى مثل قبر قثم بن العباس ابن عم رسـول الله ﷺ مدفونًا فى سمرقند بجانب قبر البخارى فى بخارى، فمن حرك ذلـك المـؤمن إلى تلـك البلاد، سوى حب الدعوة إلى دين الله عز وجل .

نعم، لقد فهم الصحابة وأطفـالهم ـ رضـوان الله عليهـم ـ طبيعـة هـذا الـدين الدعوية، فتحركوا به إلى الناس كافة يبتغون رضوان الله فى هداية الناس .

وتختلف الظروف المحيطـة بالداعيـة بين القـسوة والرخـاء، وبين الـشدة عليـه واللين به، وتتبدل مواقف الأعداء ـ بفضل من الله وبلاء من عنده ـ تجاه هذا الدين، ولكن الداعية الصادق، يبقى موقفه واحدًا لا يتغير ألا وهـو الـدعوة إلى الله، حتـى وهو ساكت، فسكوته وكلامه، ومشيه ووقوفه، وذهابه وإيابـه، وسـفره وحـضره، وهجرته وعودته، إلى وطنه، له موقف واحد هو الدعوة إلى الله تنطق بـه كـل ذرة فى خلجات جسمه وكل ذرة فى خلاياه . فإذا كان كذلك، تحرك كل شىء فيـه فأصـبح دعوة إلى الله، ينشر الله تعالى رضاه عليه فى الأرض، ويوضع له القبول فى السماء قبل الأرض . فهذا على ـ كرم الله وجهه ـ وهو فى مكة قد تربى على يد أفضل المربين بـل سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ، يتحرك فى دعـوة أبـى ذرالغفـارى بطريقـة

أمنية عجيبة ، فى ظروف سرية قاسية وخطيرة ،وفى دقة وتخطيط يقظين : روى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال أبو ذر ﷺ : كنت رجلاً من غفار، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبى، فقلت لأخى : انطلق إلى هذا الرجل وكلمه، وائتنى بخبره، فانطلق فلقية ثم رجع، فقلت : ما عندك ؟ فقال : والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير، وينهى عن الشر، فقلت له، لم تشفنى من الخبر فأخذت جرابًا وعصا، ثم أقبلت إلى مكة، فجعلت لا أعرفه، وأكره أن أسأل عنه، وأشرب من ماء زمزم، وأكون فى المسجد (أى الكعبة) قال : فمر بى على ـ ﷺ وكرم وجهه ـ فقال : كأن الرجل غريب؟! قال : قلت : نعم، فقال : فانطلق إلى المنزل، فانطلقت معه، لا يسألنى عن شىء، ولا أسأله ولا أخبره، فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه، وليس أحد يخبرنى عنه بشىء، قال فمر بى على ﷺ وكرم وجهه فقال : أما آن للرجل يعرف منزله بعد؟ قال : قلت : لا، قال : فانطلق معى، قال : فقال : ما أمرك؟ وما أقدمك هذه البلدة؟ قال : قلت له : بلغنا أنه قد خرج ها هنا رجل يزعم أنه نبى الله، فأرسلت أخى يكلمه، فرجع ولم يشفنى من الخبر، فأردت أن ألقاه . فقال له : أما إنك قد رشدت . هذا وجهى إليه، ادخل حيث أدخل، فإنى إن رأيت أحداً أخافه عليك قمت إلى الحائط كأنى أصلح نعلى، وامض أنت، فمضى ومضيت معه، حتى دخل ودخلت معه على النبى ﷺ ، فقلت له: اعرض على الإسلام، فعرضه، فأسلمت مكانى، فقال لى :

«يا أباذر، اكتم هذا الأمر، وارجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل» فقلت : والذى بعثك بالحق، لأصرخن بها بين أظهرهم، فجئت إلى المسجد وقريش فيه، فقلت : يا معشر قريش، إنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابئ، فقاموا، فضربت لأموت، فأدركنى العباس، فأكب على، ثم أقبل عليهم، فقال : ويلكم! أتقتلون رجلاً من غفار؟!

ومتجركم وممركم على غفار، فأقلعوا عنى، فلما أن أصبحت الغد رجعت، فقلت مثل ما قلت بالأمس، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابئ، فصنع بى ما صنع بالأمس، فأدركنى العباس، فأكب على، وقال مثل مقالته بالأمس» .

٩ ـ أطفال الصحابة يعلنون الإيمان فى أحلك الظروف وحتى الممات :

«كان إياس بن معاذ ﷺ غلامًا حدثًا من سكان يثرب، قدم فى وفد من الأوس، جاؤوا يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، وذلك قبيل حرب بعاث فى أوائل سنة (١١) من النبوة، إذ كانت نيران العداوة متقدة فى يثرب بين القبيلتين، وكان الأوس أقل من الخزرج، فلما علم رسول الله ﷺ بمقدمهم جاءهم فجلس إليهم، وقال لهم : هل لكم من خير مما جئتم له؟ فقالوا : وما ذاك؟ قال : «أنا رسول الله، بعثنى إلى العباد، أدعوهم أن يعبدوا الله، ولا يشركوا به شيئًا، وأنزل على الكتاب» ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن معاذ : أى قوم، هذا والله خير مما جئتم له، فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع ـ رجل كان فى الوفد ـ حفنة من تراب البطحاء، فرمى بها وجه إياس، وقال : دعنا عنك، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا، فصمت إياس، وقام رسول الله ﷺ وانصرفوا إلى المدينة من غير أن ينجحوا فى عقد حلف مع قريش .

وبعد رجوعهم إلى يثرب، لم يلبث إياس أن هلك، وكان يهلل، ويكبر، ويحمد، ويسبح عند موته ، فلا يشكون أنه مات مسلمًا»[1] .

وهكذا رأينا أن الطفل عندما يؤمن بالعقيدة، فإن قلبه لا يعرف النفاق، ولا حب الدنيا، وإنما يخلص للعقيدة، ويسعى لتنفيذها وتطبيقها، ويذكر الله تعالى وتطيب نفسه بذكره، ويسبح ويهلل كل ذلك يفعله بلذة عارمة وفرح شديد ، وتجاوب مع فطرته التى فطره الله عليها من الإيمان، فالأطفال هم الطريق لاستئناف

(١) الرحيق المختوم (ص ١٢٩) .

حياة إسلامية راشدة خالدة، وهم المعنيون بآيات التهديد للكبار ـ والله أعلم ـ باستخلاف غيرهم في الآيات الكريمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة] .

فإذا استكبر الكبار عن الدعوة إلى الله، وتبليغ شرعه، فإن الله تعالى ينشئ من الصغار جيلاً مؤمناً صفاتهم : ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ ﴾ فلا يخافون لوم اللائم كائنًا ما كان ذلك اللائم، وأيا كان نوعه وشكله، ومهما كان مصدره .

والأطفال هم المعنيون في مثل قوله تعالى : ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد] .

فهذا الاستبدال من الكبار الذين لا يستجيبون لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ، فإذا توقفت الدعوة مع الكبار، وتجمدت معهم، فإن في إنشاء الأجيال الطفولية خير معين، وخير رافد للدعوة . وهم بصفائهم أكثر قبولاً وهم بفطرتهم الإيمانية أسرع تنفيذاً لأمر الله تعالى وأمر رسول الله ﷺ وهم بصدقهم أكثر حمية وغيرة على شرع الله تعالى، وهم بعاطفتهم أسرع تحركاً وتحريكاً للمجتمع، وهم بحبهم ينشرون الدعوة بين الكبار أكثر تأثيرًا ونفوذًا إلى نفوس الكبار المتبلدة المنشغلة بالدنيا، الناسية للآخرة . فهل نصحو؟ وهل نعيد ترتيب البيت الدعوى وأولوياته الدعوية؟ وهل نتباطأ ونتثاقل كتثاقلنا مع الكبار؟!

اللهم إليك أشكو ضعفى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين .

١٠ـ هجرة الصغار فى سبيل الله تعالى :

هجرة الصغير مع أهله وعشيرته من الوطن فى سبيل الله تعالى، تتكرر صورها وأشكالها، وأسبابها ومسبباتها، وأصبحت فى هذا العصر سمة ظاهرة فى كثير من بقاع العالم الإسلامى، نتيجة تسلط الأعداء عليهم .

وقد بدأت هجرة الصغار منذ عهد رسول الله ﷺ فقد روى البخارى عن أبى موسى ﷺ قال : بلغنا مخرج النبى ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوان لى، أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، إما قال : فى بضع، وإما قال : فى ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومى ، فركبنا سفينة ألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة، ووافقنا جعفر بن أبى طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر : إن رسول الله ﷺ بعثنا ها هنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعًا، فوافقنا النبى ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا، أو قال : فأعطانا منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئًا، إلا لمن شهد معه، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم . ورواه مسلم كاملاً والترمذى وأبو داود .

الأساس العقدى السادس : تعليم الطفل حرمة دم المسلم وماله وعرضه :

شدد الرسول ﷺ فى خطبة الوداع، وهو يودع الأمة للقاء الله تعالى، على حرمة دم المسلم وماله وعرضه، وكان من بين الحاضرين الكبار والصغار، والرجال والنساء، فقال ﷺ : «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا،فى شهركم هذا، وستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه»، ثم قال : «ألا هل بلغت،

ألا هل بلغت ؟» قلنا : نعم ، قال : «اللهم اشهد» . متفق عليه .

ودليل وجود الأطفال وسماعهم خطبة حجة الوداع وجود الفضل بن العباس وهو صغير، وغيره من الأطفال :

عن أبى أمامة ﷺ قال : لما كان فى حجة الوداع قام رسول الله ﷺ وهو يومئذ مردف الفضل بن عباس على جمل آدم فقال : «يا أيها الناس، خذوا من العلم قبل أن يقبض، وقبل أن يرفع ...» الحديث رواه أحمد والطبرانى وابن ماجه طرف منه .

ويبين الرسول ﷺ خطورة الوقوع فى دم المسلم فقال ﷺ : «لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه ، ما لم يصب دماً حراماً» رواه البخارى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما .

وبعد حصول الفتنة الكبرى بين الصحابيين الجليلين أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنهما ـ والتى كان من حكمتها التى ظهرت، أن ظهر (فقه البغاة) وطريقة التعامل معهم، وحث الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ والتابعين والسلف الصالح على الاعتقاد الحسن بالطائفتين، وأنهما من المؤمنين، وغدا فى عهد عمر بن عبد العزيز تعليم الصبيان هذا الموضوع، يقول الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ فى رسالته [1] إلى عالم البصرة عثمان البتى ـ رحمه الله :

(وإنى أقول فيما مضى من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ فيما كان بينهم : الله أعلم، ولا أظن هذا إلا رأيك فى أهل القبلة، لأنه أمر أصحاب رسول الله ﷺ وأمر حملة السنة والفقه .

زعم [2] أخوك عطاء بن أبى رباح، ونحن نصف له هذا : إن هذا أمر أصحاب

---

(١) سيتم إن شاء الله تعالى نشر رسائل أبى حنيفة فى العقيدة، وهى خمس رسائل .

(٢) الزعم هنا بمعنى القول الحق بقرينة المقام وهو من الأضداد، فكل هؤلاء لا يرون نفى الإيمان عن مرتكب الكبيرة . قاله الكوثرى ـ رحمة الله ـ على تعليقه للرسالة .

رسول الله ﷺ وزعم أخوك نافع هذا، وأنه فارق ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ على هذا .

وزعم سالم عن سعيد بن جبير : هذا أمر أصحاب محمد ﷺ وزعم ذلك أيضًا عبد الكريم عن طاوس عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما : أن هذا أمره قد بلغنا عن على بن أبى طالب ﷺ حين كتب القضية أنه يسمى الطائفتين مؤمنين جميعًا .

وزعم ذلك أيضًا عمر بن عبد العزيز كما رواه من لقينى سن إخوانك فيما بلغنى عنك، ثم قال : ضعوا لى فى هذا كتابًا، ثم أنشأ يعلمه ولده، ويأمركم بتعليمه .

علمه جلسائك رحمك الله تعالى، فكان بمكان من المسلمين .

واعلم أن أفضل ما علمتم، وما تعلمون الناس السنة، وأنت ينبغى لك أن تعرف أهلها الذين ينبغى أن يتعلموها» .

فانظر رعاك الله إلى فقه الإمام أبى حنيفة فى أصحاب رسول الله ﷺ وانظر توريث حرمة دم المسلم وماله وعرضه، وعدم الوقوف فيه، كيف كان يورثه عمر ابن عبد العزيز الخليفة العادل إلى أبنائه، ويأمر المسلمين فى وضع كتاب بذلك، وتدريسه للناس ،وخاصة طلاب العلم صغيرهم وكبيرهم .

وإن توريث الحماس الدينى فى الأطفال والفتيان والشباب شىء مهم، ولكن الأهم منه هو توريثهم الحماس مع حسن الاعتقاد بحرمة دم المسلم وماله وعرضه، وأن مرتكب الكبيرة يبقى من المسلمين، ولا ينتفى عنه صفة الإيمان ،وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة .